مكتبة محمد البيداوي

الدرر السنية
فى أخبار السلالة الأدريسية

تأليف

مولانا الاستاذ السيد محمد بن مولانا
السيد على السنوسى الخطابي الحسنى الادريسى
المتوفي فى جغبوب سنة ١٢٧٢ هـ
نفعنا الله به وبعلومه

طبع هذا الكتاب الجليل على نفقة حفيد المؤلف
السيد محمد ادريس المهدى السنوسى

(حقوق الطبع محفوظة لناشره حفيد المؤلف)

سنة ١٣٤٩ هـ

مطبعة الشباب بمصر

56010

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

الحمد لله الواجب الوجود، المسبب الفضل والجود، المنزه عن الصاحبة والولد، المنفرد فى ملكه الواحد الاحد، الذى اصطفى محمداً من خلاصة خلقه فكان فيهم أشرف نسبا واحقه، فقد صح عنه فى جميع الاخبار، مما رواه الثقات الاخيار «ان الله اصطفى من بنى آدم العرب، واصطفى من العرب كنانة، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، فانا خيار من خيار من خيار» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادات الابرار، مظهرى دينه ومبلغيه سائر الآفاق واقاصى الاقطار، وخصوصا أهل بيته الفحول، بنى على بضعة البتول، ينابيع الدين ومنبع المكارم، فاتحى قواعده وماحى أفانه المظائم. صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما تعاقب اختلاف الملوين.

أما بعد، فاعلم انه ورد فى علم التاريخ المشتمل على علم الانساب آثار وآيات واخبار، مما هو متعارف مشهور، فى كتبه مدون مسطور. قال المقريزى فى كتابه قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان، ما نصه: لا خفاء ان معرفة علم التاريخ المشتمل على علم الانساب من الامور المطلوبة، والمعارف المندوبة، لما يترتب عليه من الاحكام الشرعية والمعارف الدينية. فقد وردت الشريعة باعتبارها فى مواضع منها العلم بنسب النبى صلى الله عليه وسلم وانه النبى القرشى الهاشمى الذى كان بمكة وهاجر منها الى المدينة وتوفى بها فانه لا بد لصحة الايمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم فى الجهل به وناهيك بذلك، ومنها التعارف بين الناس حتى لا ينسب أحد إلى غير آبائه ولا ينسب إلى سوى أجداده، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» ولولا معرفة الانساب لفات ادراك ذلك وتعذر الوصول اليه. ومنها اعتبار النسب في الامامة التى هى الدعامة العظمى.

فقد حكى الماوردى فى الاحكام السلطانية الاجماع على كون الامام قرشيا ثم قال ولا اعتبار بصران حيث شاع فجورها (١) فى جميع الناس فقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش قال أصحابنا الشافعيون فان لم يوجد قرشى اعتبر كون الامام كنانيا من بنى كنانة أو من خزيمة فان تعذر اعتبر كونه من بنى اسماعيل عليه السلام فان تعذر اعتبر كونه من بنى اسحاق فان تعذر اعتبر كونه من جرهم لشرفهم بصهارة اسماعيل عليه السلام فقد نصوا أن الهاشمى أولى بالامامة من غيره من قريش فلولا المعرفة بعلم النسب ما ثبت وتعذر حكم الامامة العظمى التى بها عموم صلاح الامة وحماية البيضة وكف الفتنة وغير ذلك من المصالح

ومنها اعتبار النسب فى الزوج والزوجة عند الشافعى حتى لا يكافىء الهاشمية والمطلبية غيرها من قريش ولا يكافىء القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشى ولا يكافىء القرشية والكنانية غيرهما من العرب ممن ليس بكنانى ولا قرشى على الاصح وفى اعتبار النسب فى العجم أيضا وجهان أصحهما الاعتبار فاذا لم يعرف النسب تعذرت هذه الاحكام ومنها مراعاة النسب الشريف فى المرأة المنكوحة فقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لا ربع لدينها وحسبها ومالها وجمالها فراعى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرأة الحسب وهو شرف الآباء . ومنها جريان الرق على العرب فى أحد قولى الشافعى رضى الله عنه وموافقته فاذا لم يعرف النسب تعذر ذلك الى غير ذلك من الاحكام الجارية هذا المجرى ثم ليعلم انه قد ذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء كالبخارى الى جواز الرفع فى الانساب احتجاجا بعمل السلف فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى علم النسب بالمقام الارفع والجانب الاعلى وذلك أدل دليل وأعظم شاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره .

وقد حكى صاحب الريحان والريعان عن أبى سليمان الخطابى أنه قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه نسابة فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوقف على قوم من ربيعة فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال

---

(١) كذا فى الاصل . والذى فى نسخة الاحكام السلطانية المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٧ « ولا اعتبار بضرار حين شذ فجوزها فى جميع الناس »

أى ربيعة أنتم من هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامها العظمى قال أبو بكر الصديق من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال أبو بكر فمنكم عوف الذى يقال لا حر بوادى عوف قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم بذهل الاكبر بل ذهل الاصغر فقام إليه غلام من شيبان يقال له دغفل حين تقل وجهه فقال إن على سائلنا أن نسأله ياهذا انك قد سألت فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً من خبرنا فمن الرجل قال أبو بكر انا من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى الفريقين انت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى اسكت والله من سواء الثغرة فمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال فمن أهل الندوة انت قال لا قال فمن أهل السقاية أنت قال لا قال فمن أهل الحجابة أنت قال لا . واجتذب أبو بكر زمام ناقته فقال الفتى بيتا (١)

صادف درء السيل درأ يدفعه يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله يا أخا قريش لو ثبت لأخبرتك انك من رعيان قريش ولست من الذوائب فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال عليه السلام يا أبا بكر لقد وقعت من الغلام الاعرابى على باقعة قال يا أبا الحسن مامن طامة الا فوقها طامة . ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى يضرب به المثل فى معرفة النسب ؛ قدم مرة على معاوية بن أبى سفيان فى خلافته فاختبره فوجده رجلا عالماً فقال بم نلت هذا يادغفل فقال بقلب عقول ولسان سؤول وآفة العلم النسيان .

وممن اشتهر فى معرفة الانساب أيضا ابن الكيس من بنى عوف بن سعد ابن تغلب بن وائل وفيه يقول مسكين بن عامر :

فحكم دغفلا وارحل اليه ٭ ولا تدع المطى الى الكلال
أو ابن الكيس النمرى زيداً ٭ ولو أمسى بمنخرق الشمال

---

(١) هنا فى الاصل بياض والقصة مروية فى كتاب « سبائك الذهب » المطبوع ببغداد وعنه أخذنا البيت .

وقد صنف فى علم الانساب جماعة من جلة العلماء وأعيانهم كأبى عبيد القاسم ابن سلام والبيهقي وابن عبد البر وابن حزم وغيرهم وذلك دليل شرفه ورفعة قدره والحامل لاصل التاريخ ماقاله الشيخ جار الله المكى فى تحقيق الصفا فى تراجم بنى الوفا مانصه : وقد ورد فى الاثر عن سيد البشر أنه قال من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره ومن زاره استوجب رضوان الله وحق على المزور أن يكرم زائره اه فاذا كان هذا فى مطلق مؤمن فكيف بخاصة الخاصة وأهل الفضل والمزايا المتراصة فكيف بمن يتعلق بسفينة النجاة وبهم البركات ومقاليد الشفاعات لهذه الرسالة الموضوعة فى نبذة سرية من أحوال بنى صاحب الرسالة ذوى الفضل والجلالة والعلا حائزى قصب السبق فى كل ملا المسماة «بالدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية» وما فى حكمها من السادات العلوية ممن له ولاية ودولة فى الاقطار المغربية مشتملة على مقدمة وست دول

الدولة الاولى الفاسية وما فى ايالتها . الدولة الثانية التلمسانية ومافى نواحيها .

الدولة الثالثة الغمارية ومافى حكمها . الدولة الرابعة السبتية وما فى حكمها

الدولة الخامسة الاندلسية ومافى حكمها. الدولة السادسة الصحراوية ومافى حكمها

وسترى لكل واحدة بيانا شافيا على ماعند صاحب القرطاس والمغرب وما فى العبر لابن خلدون التونسى وما فى سلاسل الفصول لابن خلدون التلمسانى وما فى عمدة الطالب فى نسب على بن أبى طالب لابن عنبة فالمقدمة وفيها فصلان

الفصل الاول : وفيه نوعان

الاول فى أصل النسبة الادريسية وتنوع افنانها فى أقطار الارض وانتشار سلطانها واختصاص كل باركانها قال فى المغرب كصاحب العمدة مامعناه انه لما انتقلت الولاية من بنى أمية لبنى العباس ووصلت النوبة لهارون الرشيد حصل منه من الاذية فى حق العلويين ماهو معلوم من العباسيين حيث جار الرشيد فى حقهم جوراً عظيما وأراد قطع دابرهم بالكلية فهربوا منه إلى الاراضى البعيدة من طاعته فممن هرب منه من الشرفاء الى المغرب الاقصى مولانا ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن شهد مجامع الحسين بن على العابد صاحب فخ

فلما قتل الحسين فى جماعته بفخ فر ادريس وأخوه سليمان ومولاه راشد بن مرشد القرشى أخوه من الرضاعة فلم يزل يجد السير حتى وصل مدينة تلمسان فثبت أخوه سليمان وذهب معه الى تلمسان وأقام بها وسيأتى خبره ، ثم انتقل مولانا ادريس الى طنجه فلم يجد ما يوافقه بها فرجع الى زرهون فوجد عبد المجيد بن مصعب سلطانا وكانت الخلافة له فى قبائل البربر فقام فخلع عبد المجيد له الخلافة وترك له الحكم وعقد له البيعة وتركه حاكما وكان عنده ثلاثة من الوزراء عبد المجيد بن مصعب الاوربى وأخوه عمر بن مصعب الاوربى الزرهونى وراشد بن مرشد القرشى ثم تزوج مولاى ادريس بنت وزيره عبد المجيد واسمها كنزه المرضية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال واعتدال فحملت منه بالنجل السعيد وهو مولاى ادريس الاصغر .

وسبب موت مولاى ادريس الاكبر أنه أتاه سليمان بن جرير النبرى ثم الزميرى من الشرق بأمر هارون الرشيد بقارورة من المسك مسمومة ولم يزل يجد السير حتى وصل اليه وفرح به ثم دفع له القارورة المسمومة فشمها فطلع السم فى خياشمه فمات رحمة الله عليه عام سبعة وسبعين فى القرن الثانى

وفى العمدة أن الامام ادريس شهد مجامع الحسين بن على العابد صاحب فخ فلما قتل الحسين انهزم حتى دخل المغرب فسم هناك بعد أن ملك وقد وصل الى زرهون وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم الى الدين فاجابوه وملكوه فاغتم لذلك الرشيد حتى امتنع من النوم ودعا سليمان بن جرير الرقى متكلم الزيدية وأعطاه سما فورد سليمان بن جرير الى ادريس متوسما بالذهب فسر ادريس بن عبد الله ثم طلب غرة فوجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم وهرب فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربة منكرة وفاته وعاد وقد مضى ادريس لسبيله قال ولما مات ادريس وضعت المغاربة التاج على بطن زوجته أم ادريس وولدته بعد أربعة أشهر بعد موت أبيه قال وقد كان داوود بن القاسم الجعفرى أحد كبراء العلماء وممن له المعرفة بالنسب حاضرا قصـــة ادريس بن عبد الله وسمه وولادة ادريس بن ادريس قال كنت معه بالمغرب فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجها وقال على الرضى بن موسى الكاظم رضى الله عنهما ادريس بن ادريس بن عبد الله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله وقال أبو هاشم

داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار انشدنى ادريس بن ادريس لنفسه شعراً

لو مال صبرى بصبر الناس كلهم ... لكل فى روعتى وظل فى جزعى
بان الاحبة واستبدلت بعدهم ... هما مقيما وسلما غير مجتمع
كانى حين يجرى الهم ذكرهم ... على ضميرى مجبول على الفزع
تأوى الهموم اذا حركت ذكرهم ... الى جوارح جسم دائم الجزع

ثم بعد أن وضعت أمه حملها بعد تمامه سمته على اسم أبيه ادريس وقام به وزراء أبيه وتكفل به راشد بن مرشد القرشي حتى اذا بلغ ثمانية أعوام وقيل اثنتى عشرة سنة وبلغ الحلم وقرأ جميع العلوم وأمر ببنيان المدينة البيضاء وأعانه الله على بنيانها لقوله صلى الله عليه وسلم حين عرج على المعراج فرأى بقعة بيضاء تتلألأ نورا فقال له ياحبيبى ياجبريل ما هذه البقعة البيضاء التى تتلألأ نورا فى المغرب قال له جبريل عليه السلام هذه مدينة لامتك فى آخر الزمان تسمى بفاس ينبع العلم من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها ثم زوجته أمه الحسنى بنت سليمان بن محمد النجاعى وكانت أمه كاملة العقل والحياء والدين تابعة للكتاب والسنة وروى أن ادريس كان لا يفعل شيئا حتى توافقه الحسنى ثم توفى رحمة الله عليه بعد ما استقر بمدينة وكان سبب موته حبة من العنب الزواعى وسيأتى لذلك مزيد بيان وخلف اثنى عشر ولدا محمد وأحمد و قاسم وعمر وعمران وعلى وعيسى ويحيى وحمزة وعبد الله وداود و كثير قال فى العمدة وأعقب ادريس ابن ادريس بن عبدالله المحض عدة رجال منهم محمد وعمران والقاسم وأحمد وعيسى وعمر وداود ويحيى وعبد الله وحمزة ويحيى وعلى وقيل انه أعقب من غير هؤلاء أيضا ولكل منهم ممالك ببلاد المغرب هم فيها ملوك الى الآن .

قال فى رفع التدليس فى ذرية الامام ادريس بعد أن ذكر الائمة الاثنى عشر ما نصه فتولى الامام محمد بن ادريس الخلافة بعد موت أبيه وبقى بنوه بفاس متوارثين الملك بعده كما سيأتى وقسم على اخوته المذكورين البلاد برأى جدته كنزة بنت عبد المجيد الاوربى فأعطى لعمران جبل الريف وبادس وأحوازهما وأعطى لعمر رجس وأحوازه وأعطى لابى القاسم سبتة وطنجة وأحوازهما ولاحمد الهبط واحوازها واعطى لعيسى سلا واحوازه واعطى

لعبد الله قشتالة وتادلة وأحوازها وأعطى ليحي غماة واحوازها وأعطى لداوود تلمسان وأحوازها واعطى لاحمد الملقب بكثير مالقة وغرناطة وطرفا من جبل الفتح واعطى لعلي سجلماسة وأحوازها

فهذه ساداتنا الاشراف الاثنا عشر فاوى كل واحد منهم الى بلدة وانتسل بها وترك ذريته هناك فانتسلت ذرية عمران بجبل الريف وبادس وعد منهم العلامة ابن خلدون التلمساني نحو العشرة وهم مابين زين العابدين والذريان القصي الآتي ذكره وبين الامام عمران بن ادريس وهم يوسف بن حسين بن ادريس ابن سعيد بن يعقوب بن داوود بن محمد بن عبد الله بن حمزه بن علي بن عمران وسيأتي لذلك مزيد في فضلهم فراجعه

وفي المرآة ما نصه : ولما قسم الامام محمد بن ادريس أعمال المغرب على اخوته فولى تيساس وأقطارها أخاه عمر وتيساس هذه في شرق تطاون على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل في غربها تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر لها بحر بقاع يجلب لها منه جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والكتان والثمار وأهلها في امن من القحط وهي قديمة العمران ولم تزل قائمة الى حدود ثمانماية فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي واليها من قبل بني مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن قال والقبيلة الحافة بها من جهاتها الثلاث هي قبيلة بني زيات بزاي ثم ياء مثناة تحتانية خفيفة ثم الف مد ثم تاء مثناة فوقية من قبائل بني زيال بياء تحتانية فالف مد فلام من بطون غمارة ويقال يال ونال بالنون مكان الياء اخوان فتفرع يال الى بني زيات وبني منصور وبني بوزوا وتفرع نال بالنون الى بني خالد وبني ورزين وبني قير بالقاف المعقودة وبني مسيح وبني جلاوهم بجيم مفتوحة ثم لام مشددة بعدها الف

الفصل الثاني

فيما يتعلق بأحوال فتح المغرب أدناه وأوسطه وأقصاه

والمراد منه ما وراء الاسكندرية غربا الى السوس الاقصى الموالي لساحل

البحر المحيط من المعمور والمقصود منه من افريقية الى آخر المعمور وأدناه افريقية وهى ما وراء ديار مصر غربا سميت باسم افريقش بن ابرهة ملك اليمن لانه غزاها فافتتحها فيما قبل الاسلام وبينها وبين مصر ممالك وأعمال كثيرة ينبغى ذكرها لتعلق أخبارها بها عند المؤرخين وفى ذلك أنواع

النوع الاول

فى ذكر فتح انطاباس وهى برقة وأعمالها

قال ابن عبد الحكم كان البربر بفلسطين يعنى فى زمن داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين الى المغرب حتى انتهى الى لوبية وقربية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالها النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زناتة ومغيلة الى المغرب وسكنوا الجبال وتقدمت نواية وسكنت أرض انطابلس وهى برقة وتفرقت فى هذا المغرب وانتشروا حتى بلغوا السوس الاقصى ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت بقوسة مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك وأقام الافارق وكانوا خدماء للروم على صلح الى من غلب على بلادهم وهو بنو فارق بين بيصر بن حام فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة آلاف دينار يؤدونها اليه جزية على أن يبيعوا من شاءوا من أبنائهم فى جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج انما كانو يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبرى فافتتحها بصلح وصار ما بين برقة وزويلة سلما للمسلمين وقال أبو العالية الحضرمى سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لاهل انطابلس عهد يوفى لهم به

النوع الثانى

فى ذكر فتح اطرابلس

قال ابن عبد الحكم ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل على طرابلس فى سنة اثنين وعشرين فنزل القبة التى على الشرق من شرقيها فخرج رجل من بنى مدلج ذات يوم من عسكر عمرو فى سبعة نفر فمضوا غرب المدينة حتى أمعنوا عن

العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيه ما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجى وأصحابه وإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا اليها من الموضع الذى حسر منه البحر فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم وأبصر عمرو وأصحابه السلة فى جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان فى المدينة من سبرة متحصنين وهى المدينة العظمى وسوقها السوق القديم فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وانه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة لهم به آمنوا فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سبرة وهم غافلون وقد فتحوا أبوابها لتسرح مواشيهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو قال ثم أراد عمرو أن يوجه الى المغرب فكتب الى عمر بن الخطاب إن الله عز وجل فتح علينا طرابلس وليس بيننا وبين افريقية الا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب اليه عمر لا انها ليست بافريقية ولكنها الفرقة غادرة مغدور بها لا يقربها أحد ما بقيت وكأنه أشار رضى الله عنه بقوله الفرقة وغادرة مغدور بها متفرسا إلى ما يقع من النكث بعد الابرام والكفر بعد الاسلام المتكرر من أهلها البربر والروم فقد ذكر ابن خلدون انهم ارتدوا بعد الاسلام ونقضوا بعد الابرام ما يزيد أو يقرب من اثنى عشرة مرة فلذلك تكرر فتوحها وترجم لها بذلك وآخر من فتحها موسى بن نصير وطارق مولاه فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان وأولها فتح عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما

النوع الثالث

فى ذكر فتوح افريقية

وأولها كان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى غزوة عبد الله بن سعد ابن أبى سرح أخ الامام عثمان رضاعة رضى الله عنهما قال فى الاكتفاء ما نصه

قال ابن عبد الحكيم ولما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله ابن سعد بن أبى سرح كان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل كما كانوا يفعلون فى إمرة عمرو بن العاص فيصيبون من اطراف افريقية ويغنمون فكتب عبد الله ابن سعد فى ذلك الوقت الى عثمان وأخبره بقربها من حوز المسلمين واستأذنه فى غزوها فندب عثمان الناس الى ذلك بعد المشورة فيه فلما اجتمع الناس أمر عليهم الحارث بن الحكم أن يقدموا مصر على عبد الله بن سعد فيكون اليه الامر فخرج عبد الله بن سعد اليها وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلعه وخرج عنه وكان سلطانه مابين طرابلس الغرب الى طنجة ثغر افريقية ومستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة الافريقية فلقى عبد الله جرجير فقاتله فقتله الله وولى قتله عبد الله بن الزبير فيما يزعمون وهرب جيش جرجير وبث عبد الله السرايا وفرقها فأصابوا غنائم كثيرة فلما رأى ذلك رؤساء افريقية سألوه أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم فقبل منهم ذلك ورجع الى مصر ولم يول على افريقية أحداً ولا اتخذ بها قيروانا

وفى كتاب سيف لما وجه عبد الله بن سعد الى افريقية قال له ان فتح الله عليك افريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس فلما انتهى الى افريقية بمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم فقتله الله قتله عبد الله بن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها واجتمعوا على الاسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليه بعد أن أخرج الخمس فعزل منه لنفسه خمسه وبعث بأربعة اخماسه الى عثمان وضرب فسطاطا فى موضع القيروان ووفد وفد الى عثمان فشكوه فيما أخذه من الخمس فقال أنا نفلته وانما النفل تبصرة وتدريب للرجال ثم كتب الى عقبة بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين وأمرهما بالمسير الى الاندلس فيمن ندب معهما من الرجال وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية وبعد ذلك يسير الى الاندلس فلما كان الاستيلاء على صاحب افريقية سارا من فورهما الى الاندلس وأتياها من قبل البحر وكان عثمان رحمه الله قد كتب الى من انتدب الى الاندلس أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس وانكم ان لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها فى الأجر والسلام قال كعب يعبر البحر الى الاندلس اقوام يفتحونها يعرفون بنورهم الى

يوم القيامة قال ابن ناجى فى معالم الايمان ما نصه ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضى الله عنهم أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين جيش عبد الله ابن أبى سرح القرشي العامرى فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما سنة سبع وعشرين ثم جيش معاوية بن خديج السكونى ثلاث مرات ولى ذلك سنة أربع وثلاثين فى خلافة سيدنا عثمان أيضا ثم عقبة بن عامر الجهنى ثم رويفع بن ثابت الانصارى سنة سبع وأربعين ثم عقبة بن نافع الفهرى أيضا سنة خمسين وفيها اختط القيروان وفى كل جيش من هذه الجيوش تنزل طائفة من الصحابة بأرض القيروان

قلت روى الواقدى عن ربيعة بن عباد الديلى قال أغزانا عثمان رضى الله عنه افريقية فخرجنا مع الناس حتى قدمنا مصر فخرج عبد الله بن سعد وهو أمير الناس بمصر بمن كان معه وبمن قدم عليه المدينة فكانوا عشرين ألفا ونحن نريد بطريق الروم بافريقية يقال له جرجير كان قد غلب على ما هنالك من أرض المغرب فلما وصل عبد الله من مصر كان يقدم الطلائع والمقدمات أمامه وكثيرا ما كنت أكون فى الطلائع فوالله أنا بطرابلس اذا مراكب قد رست بالساحل فشددنا عليهم فاقاموا ساعة ثم أسرناهم فكتفناهم وهم مائة حتى لحقنا ابن أبى سرح فقتلهم وقد تحصن منا أهل طرابلس ولم يتعرضوا لنا فأخذنا ما فى السفينة فكانت هذه أول غنيمة أصبناها ونحن فى وجهتنا ثم لحق بنا الناس وأقاموا أياما وكانت السرايا فى كل وجهة تأتى بالبقر والشاء والعلف ثم تحادينا حتى وردنا إفريقية فاقمنا أياما بيننا وبين جرجير ملكهم ندعوه الى الاسلام وكلما دعوناه الى الاسلام نفر ثم استطال وقال لا أقبل هذا ابدا فقلنا له تخرج لنا خراجا فى كل عام فقال ولو سألتمونى درهما واحدا لم أفعل ثم إنا تهيأنا للقتال بعد الاعذار اليه منا فهيأنا عبد الله بن سعد فجعل ميمنة وميسرة وقلبا وسار باصحابه فقال له رجل من قبط مصر كان معه ان القوم لا يصافونك وهم يهربون فاجعل لهم كمينا وفرقهم فى أماكن ففعل ذلك عبد الله وغدا بنا على تعبئت (١) والروم قد رفعوا الصليب وعليهم من السلاح ما الله أعلم به ومعهم من الخيل ما لا يحصى فتصاولنا ساعة من النهار وصارت الشمس قدر رمحين او أكثر ثم حمل عبد الله بالناس وحملنا فكانت الهزيمة عليهم وكر الكمين عليهم من كل مكان فا كثروا

---

(١) كذا . ولعل الصواب على تعبئة

فيهم القتل والاسر فطلبوا الصلح فصالحهم عبد الله بن أبى سرح على خراج وروى عن أسامة بن زيد الليثى أن الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد الف الف دينار .

وذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن سعد غزا افريقية فى جماعة من الصحابة فلقى جرجيرا وهو فى ماية ألف وصالح بن أبى سرح فى سبيطلة وهى مدينة على سبعين ميلا من القيروان فقتل جرجيرا وهو فى ماية ألف وصالح ابن أبى سرح أهل الحصون وأهل المدائن على ماية ألف رطل من الذهب قال أبو عثمان سعيد بن عفير فى تاريخه ولما سمعت الروم والازارقة بخروج عبد الله بن سعد ووصوله الى افريقية خرجوا اليه ومعهم جرجير فى جمع كثير من الروم فلما التقى بهم المسلمون بادر جرجير بالبراز فبرز اليه عبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم فقتله ابن الزبير ومنهم من قال قتلا جميعا ثم كانت الهزيمة واتخذ المسلمون ذلك المنزل معسكرا ومنزلا وأصابوا غنائم كثيرة وقسم عبد الله الفىء على الجيش فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف مثقال وتولى قسم الغنيمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ونفل عبد الله ابن أبى سرح عبد الله بن الزبير ابنة جرجير لانه قتل جرجيرا أباها وبلغ الخمس اربعماية دينار قال قال عبد الله بن الزبير هجم علينا جرجير فى عسكرنا فى عشرين وماية الف فاحاطوا بنا من كل مكان وسقط فى يد المسلمين ونحن فى عشرين ألفا فاختلف الناس على ابن أبى سرح فدخل فسطاطا له ورأيت عورة من جرجير نظرته بها خلف عسكره على برذون أشهب معه جاريتان له تظللان عليه بريش الطواويس وبينه بين جرجير أرض بيضاء ليس فيها أحد فخرجت أطلب ابن أبى سرح فقيل قد خلا فى فسطاطه فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره فلما دخلت عليه فزع فاستوى جالسا فقلت له ايه ايه كل آزق يعوز فقال ما أدخلك على يا ابن الزبير فقلت له انى رأيت عورة من العدو فاخرج فاندب الناس قال وما هى قال فاخبرته فخرج معى سريعا فقال يا أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير فاخترت ثلاثين فارسا وقلت لسائرهم أثبتوا على مصافكم وحملت فى الوجه الذى رأيت فيه جرجيرا وقلت لاصحابى احموا ظهرى فوالله ما نشبت أن خرقت الصف اليه فخرجت صابرا الله ولا يحسب

هو وأصحابه الا أننى رسول اليه حتى دنوت منـــه فعرف الشر فى وجهى فثنا برذونه موليا فادركته بادرا فدفعت بالسيف اليه فاصبت احدى الجاريتين فقطعتها واحتززت رأسه فنصبته فى رمحى وكبرت وحمل المسلمون فى الوجه الذى كنت فيه وارفض العدو من كل وجه ومنح الله المسلمين اكتفاءهم فلما أراد ابن أبى سرح أن يوجه بشيراً الى عثمان أمير المؤمنين رضى الله عنه قال أنت أولى من هاهنا بذلك انطلق الى أمير المؤمنين وأخبره بالخبر فقدمت على عثمان فاخبرته بنصر الله وفتحه ووصفت له أمرنا كما كان وروى عن عبد الله بن نافع وعبد الملك ابن حبيب ان عبد الله بن الزبير وصل من افريقية الى المدينـة فى شهر وذكر الحسن بن سعيد الخراط أنه وصل الى المدينة من سبيطلة فى ثمانيـه عشر يوما وكان يومئـذ ابن بضع وعشرين سنة فلما وصل عبد الله بن الزبير الى المدينـة وأخبر عثمان رضى الله عنه بما كان من الفتح أمره عثمان أن يقوم بذلك خطيبا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا وهبت لك ذلك فقام أمير المؤمنين عثمان خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الله فتح عليكم افريقية وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها ان شاء الله وكان عبد الله رضى الله عنه الى جانب المنبر فقام فقال الحمد لله الذى ألف بيننا بعد الفرقة وجعلنا متحابين بعد البغضة الذى لا تجحد نعماؤه ولا يزال ملكه له الحمد كما حمد نفسه وكما هو أهله الى آخر خطبته المشهورة قال وأقام ابن أبى سرح بسبيطلة وهو الامير على عسكره والحاكم بينهم فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حل بجرجير وأهل سبيطلة غارت أنفسهم وتجمعوا وكاتب بعضهم بعضا واستقلوا ضرب ابن أبى سرح فخاف منهم بما معه من الغنائم فكتب الى خليفته بمصر أن يندب اليـه مراكب فى البحر ويجعل فيها غنائم المسلمين فوصل كتابه الى مصر وأخذ خليفته فيما أمره به واتصل بالروم قصد ابن أبى سرح اياهم واستقباله حربهم فخافوه وراسلوه ودار بينهم تشاجر فجعلوا له جعلا على أن يرحل بجيشه ولا يتعرضوا لشىء معه فاجابهم الى ذلك ووجهوا اليه مائة قنطار من الذهب فقبضها منهم وانصرف عنهم راجعا الى مصر بعد أن أقام بافريقية سنة وشهرين فلما وصل الى طرابلس وافته المراكب فجعل فيها أثقال جيشه ونفذ هو ومن معه الى مصر سالمين ووجه الى عثمان رضى الله عنه بالاموال التى معه من الخمس

وغيره فوقعت الفتنة على أثر ذلك واستشهد عثمان رضى الله عنـه وولى بعده على رضى الله عنـه وبقيت افريقية على حالها الى ولاية معاوية فلما ولى معاوية عزل عبد الله بن أبى سرح عن مصر وافريقية وولى معاوية بن خديج الكندى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة أربعين فاراد معاوية غزو افريقية فأغزى معاوية بن خديج فخرج معاوية من مصر وهو عامل معاوية عليها سنة خمس واربعين ومعه عبد الله بن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين وكان معه أيضا عبد الملك بن مروان ويحيى والاكدر بن حمام المخمى وكريب بن ابزة بن الصباح وخالد بن ثابت الفهرى وأشراف من جند مصر حتى وصل الى افريقية وقصــد جلولا وعليها عامل لجرجير الرومى الذى كان ملك سبيطلة فنزل بجيشـه على قروية وهى قروان افريقية فدخل منها الى جبل يقال لها القرن قال فلما وصلوا اليها امتنعوا منـه وتحصنوا فحاصرهم حتى فتحها فى قصـــة طويلة فغنم كل ما كان فيها ثم أنفذ الغنائم الى معاوية بن أبى سفيان بالشام وقال أبو بكر المكى قال أبو العرب ان معاوية بن خديج غزا افريقيـة ثلاث غزوات أما الاولى فهى سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان وكانت تلك الغزوة لا يعرفها كثير من الناس وأما الثانية فهى فى سنة خمس وأربعين من الهجرة وقال محمد بن يوسف الوراق القيروانى ان معاوية بن خديج غزاها سنة أربع وثلاثين وهى أول غزواته ثم غزاها عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى سنة اثنين وأربعين ثم غزاها معاوية ابن خديج وهى خرب كلها وغزا معاوية جزيرة صقلية فى مائتى مركب وأصاب بها غنائم كثيرة وانصرف الى قمونية وقسم عليهم فيأهم وبعث بالخمس الى معاوية ابن أبى سفيان وهو اذ ذاك خليفة وهـذه الغزوة هى غزوة معاوية بن خديج الثانية وكانت سنة خمس وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين اه كلام الوراق

قال المالكى لما وصلت الغنائم الى معاوية بن أبى سفيان أعاد عليها معاوية ابن خديج بجيوش الشام ومصر الى افريقية وكان ذلك سنة خمسين ومعه عبد الملك بن مروان فوصل الى إفريقية واحتفر الآبار التى تسمى اليوم آبار خديج بباب تونس وانما احتفرها اذ كان عسكره هناك ثم غزا منها وغنم غنائم كثيرة من نواحيها ورجع قافلا الى قمونية وبنى بناحيه القرن مساكن وسماها قيروانا وموضع

القيروان غير مسكون ولا معمور ثم رحل معاوية بن خديج من افريقية الى معاوية بن أبى سفيان فرفع الغنائم اليه ثم عزله معاوية من مصر وولى عليها سلمة بن مخلد الانصارى فوجه سلمة خالد بن ثابت الفهرى الى افريقية وكان من التابعين فخرج فى محرم سنة اربع وخمسين فانتهى الى مواضع منها وأصاب غنائم كثيرة ثم عزله سلمة وولى عليها أبا المهاجر بجيش من قبله فوصل الى إفريقية فأخذ عقبة بن نافع الفهرى فحبسه وضيق عليه فبلغ خبره معاوية فكتب الى أبى المهاجر يأمره بتخليته ويعنفه فيما صنع فاطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجه من قابس فمضى وهو حنق على أبى المهاجر فدعا الله عز وجل أن يمكنه منه فلم يزل أبو المهاجر خائفا من دعائه وقال هو عبد لا ترد له دعوة . ثم ان أبا المهاجر صالح بربر افريقية وفيهم كسيلة الاوربى وأحسن اليه واتخذه صديقا وصالح عجم افريقية وخرج بجيوش من العرب ففتح كل ما مر به حتى انتهى الى العيون التى تسمى اليوم عيون أبى المهاجر نحو تلمسان ولم يستخلف على القيروان احدا ينظر فيها لان أكثرهم خرج معه ولم يبق الا شيوخ ونساء وأطفال ثم رجع اليها فاقام بها اه كلام المالكى : وقال محمد بن يوسف الوراق ان عقبة بن نافع الفهرى غزا افريقية غزوته الثانية فى سنة ست وأربعين من الهجرة فافتتح كثيرا من حصونها وأثخن فى قتل الروم والبربر واختط مدينة القيروان وتحول بها أياما ثم قدم أبو المهاجر مولى سلمة بن مخلد الانصارى الى الى افريقية سنة خمس وخمسين فعزل عقبة وقيده وحبسه وأخرب ما كان اختطه وبناه بالقيروان واختط مدينة تاكروب بجوف افريقية سنة خمس وخمسين على نحو ميلين وجد فى بنائها وتشييدها ولم يزل عقبة فى حبسه حتى اتاه كتاب الملك الخليفة معاوية بن أبى سفيان يأمره باطلاقه .

قال المالكى ولما سرح عقبة من وثاقه توجه الى معاوية بن أبى سفيان فوجده قد توفى وولى بعده يزيد فدخل وأخبره بما صنع أبو المهاجر بالقيروان وما حل به منه وقال فتحت افريقية وبنيت مسجد الجامع فبعث عبيداً الانصارى فاهاننى وأساء عزلتى فغضب يزيد وقال ادركوها قبل أن يخربها . ورد عقبة اليها وأزال ولاية سلمة عنها وأقره بمصر وذلك فى سنة اثنتين وستين من الهجرة فقدم عقبة عليها فى عشرة آلاف فارس فوصل الى القيروان فأخذ أبا المهاجر وحبسه

وقيده وأخذ منه ما وجد بيده من الاموال فبلغ ذلك مائة ألف دينار ذهبا وجدد بناء القيروان وشيدها ونقل اليها الناس فعمرت وعظم شأنها وعلا قدرها وأعز الله بها الاسلام واقر بها أعين الانام ثم ان عقبة خرج بأصحابه وبكثير من أهل القيروان الى المغرب واستخلف عليها عمر بن على القرشى وزهير بن قيس البلوى وخرج بابى المهاجر معه موثوقا ولما خرج عقبة دعا بأولاده فقال لهم انى بعت نفسى من الله ولا أدرى مايقضى على فى سفرى ثم قال يابنى انى أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها اياكم أن تملاوا صدوركم شعرا وتتركوا القرآن املاؤا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب ما تهذبون به ألسنتكم ويدلكم على مكارم الاخلاق ثم انتهوا عما وراءه وأوصيكم ان لا تداينوا ولو لبستم العباء فأن الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين يحملونكم دين الله ويفرقون بينكم و بين الله ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والحيطة فانه أسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ثم قال عليكم سلام الله وأرى أن لا تروني بعد يومى هذا ثم قال اللهم تقبل نفسى فى رضاك واجعل الجهاد رحمتى من دار كرامتى عندك ثم سار لا يدافعه أحد حتى انتهى الى باغى والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا فحاصرها وقد اجتمع فيها الروم فقاتلهم وحاصرهم حصارا شديدا ثم انهزم عدوهم فقتلهم قتلا ذريعا وغنم أموالهم ثم كره أن يقيم عليهم فرحل عنهم ونزل على تلمسان وهى من أعظم مدائنهم وانضم اليها من حولها فخرجوا اليه فى عدد لا يعلمه الا الله تعالى فقاتلهم حتى ظن المسلمون انه الفناء فضرب الله فى وجوه الروم فقاتلهم الى باب الحصن وأصاب الناس منها غنائم كثيرة ثم ترك القيام عليها فرحل يريد الزاب فسأل عن أعظم مدائنه فقيل له مدينة يقال لها آدانه وهى دار ملكهم وكان حولها ثلاثماية وستون قرية كلها عامرة فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم هربوا الى حصنهم والى الجبال فلما قدم عقبة نزل على واد منها على ثلاثة أميال أو أكثر قليلا فبلغوه عند الوادى فى وقت المساء وكان وقت نزوله يكره قتالهم بالليل فتواقف القوم الليل كله لا راحة لهم ولا فترة ولا نوم تسميه الناس الى اليوم وادى السهر لانهم سهروا فيه عليه فلما أصبح

عقبة صلى الصبح ثم أمر المسلمين بقتالهم فقاتلوهم فقال ما رأى المسلمون قتالا مثله قط حتى يئس المسلمون من انفسهم ثم أعطاهم الله تعالى الظفر فانهزم الروم وقتل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم واستولت الهزيمة على بقيتهم وفى هذه الغزوة ذهب الروم من الزاب وذلوا فكره عقبة المقام عليهم وقد تحصنوا فرحل منها يريد المغرب حتى نزل تاهرت فاستغاث الروم بالبربر فاجابوهم ونصروهم فقام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان أشرافكم وخياركم الذين رضى الله عنهم وانزل عليهم كتابه بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على من كفر بالله الى يوم القيامة فهم اشرافكم والسابقون منكم للبيعة باعوا انفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة وانتم اليوم فى دار غربة وانما بايعتم رب العالمين فقد نظر اليكم فى مكانكم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبا لرضاه واعزازا لدينه فابشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى وربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوهم بقلوب صادقة فان الله تعالى جعلكم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه. فالتقى المسلمون معهم فاقتتلوا قتالا شديدا فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة فولوا هاربين فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا فأبادوا فرسان البربر وتفرق جمعهم وأقيالهم وقليل من نجا منهم.

ثم رحل حتى نزل طنجة فنزل على بحر وهو بحر الاندلس فقيل له ذاك بحر لا يرام وعليه ملك عظيم الشان وما أظنك تقدر أن تجوز هذا البحر فقال لهم دلونى على رجال البربر والروم فقيل له قد تركت خلفك الروم وقد افنيتهم وما أمامك الا البربر وهم فى عدد لا يعلمه الا الله وهم انجاد البربر فسألهم عن موضعهم فقالوا له بالسوس الادنى فامر عقبة الجيش بالرحيل على بركة الله تعالى وعونه فرحل يريد السوس الادنى فلقى البربر فى عدد لا يعلمه الا الله تعالى فانهزموا وقتلهم قتلا ذريعا وامعنت خيل المسلمين فى البلاد ثم رحل الى السوس الأقصى فاجتمع عليه البربر فى عدد لا يحصى فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل من الفريقين ثم ان الله عز وجل بمنه وكرمه وفضله ضرب فى وجوههم فهزمهم المسلمون وقتلوهم وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم فبلغنا أن الجارية منهم بلغ ثمنها بالمشرق الف دينار ثم هربوا بين يديه ثم رحل يريد البحر المحيط فانتهى

اليه واقحم فيـــه فرسه لايقف بين يديه أحد ولا يرومه بشيء ثم نادى باعلى صوته وهو يشير بسوطه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال بعض أصحابه على من تسلم ياولى الله فقال على قوم يونس من وراء هذا البحر ولولا هذا لوقفت بكم عليهم ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم اشهد انى قد بلغت المجهدة ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد اقاتل من كفر بك حتى لايعبد أحد من دونك ثم انصرف راجعا يريد افريقية وداخل البربر منه رعب عظيم وتفرقوا فى الجبال فلما دنا منهم أمر أصحابه أن يتفرقوا فوجا فوجا إلى افريقية فلما انتهى إلى ثغر افريقية وهى طنجة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام أذن لمن بقي معه بالانصراف إلى القيروان وقال هو متياسر عن طنجة فلما انتهى اليهـا نظره الروم فى خيل يسيرة فقرب اليها لينظر اليها ويعرف قدر مايكفيها من الخيل فيقطع ذلك اليها وخيوله متياسرة عن طنجة فلما انتهى اليها نظر الروم الى قلة من معه من الخيل فقالوا فى قلة هذه الخيل قتل أهل الارض كلهم وظنوا ان ذلك كان هو عسكره فاغلقوا باب حصنهم دونه واقبلوا يرمونه بالحجارة وهم مع ذلك يشتمونه وكل ذلك وهو يدعوهم الى الله عز وجل والى رسوله فلما توسط البلاد نزل وبعث الروم الى كسيلة الاوربى فاعلموه بقلة من معه فخرج له جمع من الروم والبربر وتسارعوا اليه، ثم زحف اليه ليلا حتى نزل بالقرب منه واختلط بعسكر عقبة واقام كذلك حتى أصبح فلما رأى ذلك عقبـة استعد له وأمر أصحابه أن لايركب منهم أحد ويئس المسلمون من أنفسهم وقاتلوا المشركين قتالا شديدا حتى بلغ البلاء وتكاثرت فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو فاستشهد عقبة رضى الله عنه وجميع من معه رضى الله عنهم واستشهد معه ابو المهاجر وكان موثوقا فى الحديد وقيل ان كسـيلة الاوربى انمـا اتى قاصدا الى ابى المهاجر لانه كان صديقا له فلما التحم القتال بين الفئتين قتل ابو المهاجر معهم ولم يعلم به وقيل إن أبا المهـاجر حارب كسـيلة مع البربر حتى ظفر به فعرض عليه الاسلام فاسلم فاحسن اليه أبو المهاجر وكان فى عسكر المسلمين حتى عزل ابو المهاجر وقدم عقبة فلما أراد أن ينهض الى طنجة قال ابو المهاجر ليس بطنجة عدو لك لان النـاس قد اسلموا وهذا رئيس البلاد يريد كسيلة فابعث معه واليا فابى عقبة الا أن يخرج بنفسـه فخرج فنزل ماسة بمكان من السـوس الاقصى فبنى بها مسجدا ثم أتى

بذود وغنم للعسكر فذبح الذود فامر عقبة كسيلة أن يسلخ مع السلاخين فقال له كسيلة أصلح الله حال الامير هؤلاء فتياني وغلماني فقهره عقبة فقام كسيلة مغضبا فكان كلما دحس فى الشاة مسح لحيته بما علق بيده من بلل ذلك ، وجعل العرب يمرون به وهو يمسح ويقولون له يابربرى ماهذا الذى صنعت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب مثل الاقرع بن حابس التميمى وعقبة بن زيد الفزارى وأنت تجىء الى رجل من خيار قومه فى دار عزه قريب عهد بالكفر فتقسى قلبه توثق من الرجل و إلا أخيف فتكه ، فتهاون عقبة فلما انصرف انكث البربرى ماكان عليه واقبلت النفرة الى عقبة فقال له ابو المهاجر عاجله قبل أن يخرج يجمع امره فزحف الى عقبة فتنحى بين يديه وهو فى خمسين الفا ونحن فى خمسة آلاف لان العسكر افترق فغشى كسيلة عقبة بقرب تمودة فى كثرة لا يعلمها الا الله تعالى عز وجل فنزل عقبة عن فرسه فركع ركعتين وقال اطلقوا ابا المهاجر ثم قال له عقبة قم بامر المسلمين وانا اغتنم الشهادة فقال له أبو المهاجر وانا اغتنم ذلك فكسر كل واحد منهما غمد سيفه وكسر المسلمون اغماد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم اجمعين وقيل إن عقبة امر بتخلية ابى المهاجر فاعجله القتال فقاتل وهو موثوق بالحديد وذكر أن ابا المهاجر تمثل بقول ابى محجن حيث يقول

كفى حزنا أن تقنع الخيل بالقنا ۞ واترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت ۞ مصارع أبواب تضم المناديا

وروى عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة التى يقال لها تمودة كان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى عن سكناها وقال سوف يقتل بها رجال من أمتى على الجهاد فى سبيل الله تعالى ثوابهم وثواب أهل بدر واحد واشوقاه اليهم منها يحشرون يوم القيامة وروى أن عقبة مر بعبد الله بن عمرو ابن العاص وهو بمصر فى وقت عودته الى افريقية فقال له عبد الله لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم قال فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا جميعا قال المالكى فلما استشهد عقبة وأصحابه جمع كسيلة أهل المغرب وزحف بهم يريد القيروان فانقلبت افريقية نارا وعظم البلاء على المسلمين ومضى كسيلة بالعساكر حتى جاوز القيروان فخرجت العرب منها هاربة ولم يكن

لهم فى حربه طاقة لعظم ما اجتمع عليه من الروم والبربر وأسلموا القيروان وبقى بها أصحاب العيال ومن ثقل من التجار وأهل الذمة فحار الناس ولم يدروا كيف يصنعون فأرسلوا الى كسيلة يسألونه الامان ووثقوا بدعوة عقبة رضى الله عنه ،فاجابهم الى ذلك ودخل القيروان الى الموضع الذى كان فيه عقبة فنزله وأقام بها أميرا و بقى المسلمون تحت يده ومضى الذين هربوا حتى قدموا على يزيد فوجدوه قد مات

وذكر أبو العرب أن زهير بن قيس البلوى خليفة عقبة لما بلغه ما جرى على عقبة رعب رعبا شديدا عظيما وأراد الانصراف الى مصر فأتاه ابن حيان الحضرمى فقال له لا تفعل فانها هزيمة الى مصر فكان أول من برز وضرب خباءه مبارزا للعدو فلما رأى زهير عزمه عزم معه وكان مع المسلمين فى عسكرهم تبيع بن امرة لكعب الاحبار فقال له زهير لمن تراها قال أراها لرجل من العرب من غسان وأنت رجل من بلى فقال أنا والله من العرب وأنا والله من غسان جنى جدى جناية فى زمنه فالجأ الى بلى فغلب عليه نسبهم فقال عند ذلك لتبيع علامة الفتح لنا فقال يطيش من أصحابك فيستشهد فلما تنادت الخيل طاش رجل من موادى اليمن فقتل وكان اللقاء بنصر أبى عبيد ويقال ان تبيعا قال لزهير علامة صاحب الفتح ان يفتض ذلك اليوم بكرا قال فأدنى اليه زهير رأسه وقال انه لم يخف بعد وانا طهرت من افتضاض بكر الساعة فقال له تبيع اخرج على بركة الله وعونه فثبت زهير بالقيروان حتى زحف عليه كسيلة البربرى وخرج الروم من حصونهم ونقضوا العهد ووافق جمعهم عيد الاضحى فاعتد زهير هو ومن معه وكانوا ستة آلاف من البربر وأربعة آلاف من العرب فلما رأى زهير ما حل به من البربر والروم بعث اليهم وقال إنا وإياكم أهل كتاب وقد حضرنا عيد نعظمه فأخروا حربنا حتى نقضى العيد فأجابوه الى ذلك فلما انقضى العيد زحف كسيلة وقاتله قتالا شديدا فانهزم كسيلة وقتل من أصحابه ما لا يحصى ومضى اليه تلك الجموع وهرب الروم وتفرقت جموعهم ، فأقام زهير يسيرا بالقيروان ثم خرج الى مصر فوصل الى نوبيه ومراقيه وذلك فى سنة خمس وستين فوجد يزيد قد مات وعبد الله بن الزبير خليفة بمكة ومروان بن الحكم أمير بالشام فاجتمع المسلمون الى مروان بن الحكم فسألوه أن يبعث الجيوش الى

افريقية لخلاص من فيها من المسلمين من يد كسيلة وأن يقرها للاسلام كما كانت في أيام عقبة فقال لهم ومن يوجد مثل عقبة فاتفق رأيه ورأى المسلمين على زهير بن قيس البلوى رضي الله عنه وكان من رؤساء العابدين وأشراف المهاجرين فوجه اليه عبد الملك بن مروان يأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو افريقية حتى يعود اليها الاسلام كما كان فلما اتصل ذلك بزهير سره ذلك وسارع الى الجهاد وكتب الى عبد الملك يخبره بقلة من معه من الرجال وقلة الاموال فأرسل عبد الملك رجالا من العرب واشرافهم يحشرون عليه الناس من مدائن الشام وأفرغ عليهم الاموال فتسارع الناس الى الجهاد واجتمع منهم خلق كثير فأمرهم ان يلحقوا بزهير فلما وصلوا اليه خرج بهم الى افريقية فلما دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها قلشانه وكان ذلك في سنة تسع وستين فبلغ ذلك كسيلة وكان في خلق عظيم من الروم والبربر فدعا كبارهم وأشرافهم وشاورهم في أمره وقال لهم انى رأيت أن أرحل الى ممس فأنزل عليها لانى أخاف اذا التقينا مع القوم والتحم القتال أن يركبنا من في القيروان من المسلمين فنهلك ولكن ننزل بعسكرنا على ممس لان ماءها كثير وهو يحمل عسكرنا فان هزمناهم دخلنا معهم طرابلس وان هزمونا كان الجبل منا قريبا فتحصنا به . فأجابه الناس الى ذلك فرحل الى ممس فنزل بها فبلغ ذلك زهيرا وكان ينتظره أن يخرج اليه من القيروان فلما نزل كسيلة ممس رحل زهير بعسكره فنزل القيروان وأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح وأراح أصحابه خيلهم ونظروا الى ما يعمل كسيلة فاذا به يريد قتالهم فزحف اليه زهير يوم الاربعاء صباحا فسار نهاره أجمع حتى أشرف على عسكر كسيلة في آخر النهار فأمر الناس بالنزول فنزلوا وبات الناس على مصافهم فلما أصبح زهير صلى الصبح غلسا ثم زحف اليه بمن معه فالتقى الفريقان فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر البلاء في الفريقين جميعا فضرب في وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابه وقتلوا قتلا ذريعا وأثخن العرب فيهم القتل وقتل كسيلة بممس ولم يجاوزها وتمادت العرب في طلب أصحابه حتى سقوا خيلهم من ملوية (واد بطنجة) وأفنوا رجال الروم وفتح سقنباريه وقلاعها ثم رحل الى القيروان وقد فرغ منه جمع الروم والبربر . ثم ان زهيرا رأى في افريقية رفاهية العيش وملكا عظيما فأبى المقام وقال انما قدمت للجهاد ولم

أقدم لحب الدنيا وكان رضى الله عنه من رؤساء العابدين فراوده أصحابه على المقام بافريقية فأبى ورجع الى المشرق ونزل ببرقة وكانت له بها وقائع كثيرة مع المشركين وكان لما بلغهم أن زهيرا خرج غازيا الى افريقية لقتال الروم والبربر وأيقنوا أنه خرج من برقة أمكنهم ما يريدون فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا وافسدوا وذهبوا فوافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبروه بالذى حل بهم من الروم فأمر عسكره أن يمضى على الطريق وعدل هو الى الساحل فى خيل يسيرة من فرسان أصحابه وأنجادهم وطمع أن يدرك شيئا من سبى المسلمين فلما انتهى الى الساحل أشرف على الروم فاذا هم فى خلق فلم يقدر أن يرجع واستغاثه ذرارى المسلمين وصاحوا والروم يدخلونهم فى المراكب وعسكر الروم فى البر فنادى زهير فى أصحابه انزلوا رحمكم الله فنزل المسلمون وبرز الروم لقتالهم فالتقى الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا حتى عانق بعضهم بعضا وتكاثر عليهم الروم فاستشهد زهير وكل من معه من المسلمين رضى الله عنهم ولم يفلت منهم الا رجل واحد فأدخل الروم خيلهم وسلاحهم وسبيهم الذى كان معهم فى المراكب

فلما وصل الخبر إلى عبد الملك بن مروان اشتد عليه وعلى المسلمين ذلك وكانت المصيبة بزهير مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه رضى الله عنهم فسأل عبد الملك بن مروان اشراف المسلمين أن ينظروا إلى افريقية من يؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش اليهم فقال عبد الملك ما أعلم أحداً أكفى بافريقية من حسان بن النعمان الغسانى فبعثه عبد الملك أميراً على افريقية سنة تسع وستين فى جيش فيه ستة آلاف وهو أول من دخل افريقية من أهل الشام فى زمن بنى امية فخرج حسان بجيوشه حتى وصل افريقيه فسأل أهل افريقية عن أعظم ملوك افريقية فقالوا صاحب قرطاجنة فرحل اليه حسان وفى قرطاجنة من الروم ما لا يعلمه الا الله وهى على شاطىء البحر وتسمى ترشيش وهى من مدينة القيروان على مئة ميل فسار حسان حتى نزل على مدينة ترشيش ووجه خيله إلى قرطاجنة فلم يكن فيها بحر فضيق عليهم حسان وتواقف القوم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل رجالهم وفرسانهم واجتمع رأى الروم أن يهربوا فى البحر وكانت لهم سفن كثيرة فتحملوا فيها فمنهم من هرب إلى صقلية ومنهم من هرب

إلى الاندلس فدخلها حسان بالسيف فسباها وغنم ما فيها وقتل الرجال وأرسل إلى ما حولها من العمران فاجتمعوا اليه مسرعين خوفا منه فأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها ثم اجتمع عليه الروم وعقدوا عليه عسكرا عظيما لا يعلمه إلا الله تعالى وأمراؤهم البربر وذلك بموضع يسمى صقفورة فزحف اليهم حسان فقاتلهم قتالا شديدا وأصيب من أصحابه رجال كثيرون رضى الله عنهم ثم ان الله تعالى بمنه وفضله واحسانه ضرب فى وجوه الروم والبربر فانهزموا بعد بلاء عظيم فقتلهم حسان قتلا عظيما واستأصلهم وحمل باعنة الخيل عليهم فما ترك فى بلادهم موضعا الا وطئه بخيله ولجأ بقية الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة فتحصنوا فيها وهرب البربر الى اقليم بونه وأتى حسان البحر فاحتفره وجعل دار الصناعة وأخرج اليها ثم انصرف الى مدينة القيروان فاقام بها حتى برئت جراح أصحابه ثم سأل حسان عن أعظم ملك بافريقية وعمن اذا قتل خافت افريقية لقتله فقيل له ليس بافريقية اعظم قدرا ولا أبعد صيتا ولا أشد ضربا من امرأة يقال لها الكاهنة وهى فى جبل أوراس وجميع من بافريقية يهابها الروم لها سامعون مطيعون فان قتلتها يئس الروم والبربر بافريقيه فانها لهم ملجأ فلما سمع ذلك حسان عزم على غزوها فخرج اليها بجيوشه فلما بلغ موضعا يقال له مجانة نزل به وكانت قلعة مجانة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل أوراس فى عدة لا يعلمها الا الله تعالى فنزلت بمدينة باغياى فأخرجت من بها وهدمتها وظنت أن حسانا يريدها حصنا يتحصن به ثم اقبل حسان حين بلغه الخبر الى واد يقال له مكناسة فقيل له انها قد اقبلت فى عدد لا يحصى فقال لهم دلونى على ما يسع العسكر الذى أنا فيه فدلوه الى نهر فنزل عليه ورجعت اليه الكاهنة حتى اتت الى أسفل النهر فنزلت عليه فكان يشرب هو وأصحابه من أعلى النهر وتشرب هى من أسفله فلما دنا بعضهم من بعض وتوافقت الخيل أبى حسان ان يقاتلها بالليل فوقف كل فريق على مصافهم فلما أصبحوا زحف بعضهم الى بعض واقتتلوا قتالا شديدا فعظم البلاء وظن المسلمون الفناء وانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمى ذلك النهر نهر البلاء فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد قابس فاسلم افريقية ومضى على وجهه واسرت من أصحابه ثمانية رجال وقيل انها

اسرت ثمانين رجلا منهم يزيد بن خالد العبسى وكان رجلا مذكورا. فلما فصل حسان من قابس كتب الى أمير المؤمنين بخبر ما نزل بالمسلمين وبخبر الكاهنة وطفق يرفق فى سيره طمعا فيمن نجا من أصحابه ان يلحقوا به ثم ان أمير المؤمنين عبد الملك كتب اليه بلغنى أمرك وما لقيت ولقى المسلمون فحيث ما لقيك كتابى هذا فاقم ولا تبرح حتى يأتيك أمرى فلقيه كتابه وهو نازل بالموضع الذى يقال له اليوم قصور حسان فابتنى هناك قصرا لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين وملكت الكاهنة افريقية كلها

وكانت الكاهنة حين اسرت أصحاب حسان اساءت اسرتهم الا رجلا واحدا وهو يزيد بن خالد العبسى تبنته الكاهنة ثم عمدت الى دقيق شعير مفلق فامرت به فلت بزيت والبربر تسمى ذلك بسيسة ثم دعت يزيد بن خالد وابنين لها فأمرتهم فاكل ثالثهم قالت لهم انتم الآن قد صرتم إخوة وذلك عند العرب من أعظم العهد فى جاهليتهم اذا فعلوه ثم ان حسانا بعث رسولا الى يزيد وهو عند الكاهنة فاتاه فقال ان حساناً أرسلنى اليك وهو يقول لك ما منعك من الكتب الينا بخبر الكاهنة فكتب يزيد كتابا الى حسان مع رسوله فى خبزة ملة قد أنضجها ثم رفعها الى الرسول ليخفي الكتب وليظن ناظره انه زاد للرجل فلم يغب شخص الرسول عنهم حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهى تقول يا معشر بنى ذهب ملككم ودنا هلاككم فيما يأكل الناس فكررت ذلك ثلاث مرات ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب وفيه كل ما يحتاج اليه من خبر الكاهنة يقول فيه ان البربر يعقدون عساكرهم بالنهار ويفترقون بالليل وليس لهم حزم فى الرأى وانما ابتلينا بأمر اراده الله واكرم به من أراد منا بدرجة الشهادة فاذا نظرت فى كتابى هذا فاطو المراحل وجد السير فان الامر اليك ولست اسلمك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ثم ان يزيد كتب بعد ذلك الى حسان بخبر الكاهنة وعمد الى قربوس فنقره ووضع فيه الكتاب وطبق عليه القربوص وأخفى مكان النقر منه ثم حمل رسولا على دابة بالكتاب فلما فصل الرسول خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهى تقول قد دنا هلاككم فى شىء من نبات الارض وهو بين خشبتين وكانت من أعلم أهل زمانها بالكهانة ومضى الرسول حتى قدم على حسان فلما بلغ الكاهنة أن حساناً مقيم

بقصوره لا يبرح قالت للبربر والروم انما طلب حسان من افريقية المدائن والذهب والفضة والشجر ونحن انما نريد المراعي والمزارع فما نرى لكم الا خراب افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة واخربت ذلك كله الكاهنة فخرج من النصارى ثلثمائة رجل يستغيثون بحسان فما نزل بهم من خراب الحصون وقطع الشجر وكان قد وجه اليه عبد الملك بن مروان رسولا يأمره بالنهوض الى افريقية قبل أن تخربها الكاهنة فوافق ذلك وصول الروم اليه وقدوم رسول يزيد بن خالد اليه فخرج بجميع عسكره الى افريقية فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت يا بنى انظروا ماذا ترون فى السماء فقالوا نرى شيئا من سحاب أحمر فقالت لهم لا والله الا وهج خيل العرب أقبلت اليكم ثم قالت ليزيد بن خالد الذى كانت أسرته من المسلمين انما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم أما أنا فمقتولة ولكن أوصيك بأخويك هذين خيرا تريد ولديها فانطلق بهما الى العرب وخذ لهما امانا فانطلق بهما يزيد الى العرب ولقى حسانا وهو مقبل يريد الكاهنة فاخبره خبرها وأخذ لهما أمانا وكانت مع حسان جماعة من البربر فولى عليهم الاكبر من ولدى الكاهنة واكرمه وقربه

ثم مضى حسان ومن معه يريد الكاهنة فوصل الى قابس فلقيته الكاهنة فى جيوش عظيمة فقاتلهم حسان وهزمهم الله وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بشر تتحصن بها فاصبحت القلعة لاصقة بالارض فذهبت تريد جبل أوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده فجعل بين يديها على جمل فتبعها حسان حتى قرب من موضعها فلما كان الليل قالت الكاهنة لابنيها انى مقتولة وأرى رأسى تركض به الدواب يمضى به الى المشرق من حيث تطلع الشمس وأراه موضوعا بين يدى ملك العرب الذى بعث الينا بهذا الرجل فقال لها يزيد ابن خالد وولداها فاذا كان الامر هكذا فارحلى وخلى له البلاد فقالت وكيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر من الموت فاقلد قومى عاراً إلى آخر الدهر فقالوا لها ألا تخافين على قومك الموت فقالت اذا أنا مت فلا أبقى الله أحدا منهم فى الدنيا فقال لها يزيد بن خالد وولداها فما نحن صانعون فقالت اما انت يا يزيد فتنال ملكا عظيما مع الملك الذى يقتلنى ثم قالت لهم اركبوا واستأمنوا فركب يزيد بن خالد وولداها بالليل متوجهين الى حسان فلما اصبح حسان زحف الى الكاهنة

واقبلت الكاهنة زاحفة اليه فلقيت أعنة الخيل يزيد وولديها فسلموا عليهم ومضوا بهم الى حسان فدخل يزيد بن خالد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة وانها وجهت ولديها فأمر بهما حسان فأدخلها عسكره ووكل بهما أقواما وقدم يزيد ابن خالد على أعنة الخيل فالتقى القوم ووضعوا السلاح ووقع الصبر حتى ظن المسلمون انه الفناء فانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها الناس بئر الكاهنة فنزل حسان على القوم الذى قتلت فيه ويقال انها قتلت عند طبرقة فعجب الناس من خلقتها وكانت الاترجة تجرى فيما بين عجزتها واكتافها

ثم ان الروم تحزبوا على قتال حسان واجتمعوا اليه وقاتلوه فهزمهم الله تعالى فخافه البربر فامنوه فلم يقبل امانتهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم اثنى عشر الف فارس تكون مع العرب برسم الجهاد فاجابوه الى ذلك واسلموا على يديه فعقد لولدى الكاهنة بعد اسلامهما لكل واحد منهما ستة آلاف فارس من البربر واليا عليهم واخرجهم مع العرب يفتتحون افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر فمن ذلك صارت الخطط بافريقيـــة للبربر فكان يقسم الفيء بينهم والاراضى فحسنت طاعتهم له ودانت له افريقية ودون الدواوين ثم قدم القيروان فامر بتجديد بناء مسجد الجامع فبناه بناء حسنا وجدده وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنه أربع وثمانين من الهجرة ثم رحل يريد قرطاجنـــة فانتهى الى طنجة فوجه أبا صالح مولاه الى قلعـة زغوان فنزل بموضع فحص أبى صالح وبه سمى فقاتل أهلها ثلاثة أيام فخلى حسان عسكره بطنفزة ثم رحل الى زغوان فى خيل مجردة فافتتحها صلحا وانصرف الى طنفزة ثم سار الى قرطاجنة فنزل بموضع دار الصناعة وحسان هذا هو الذى خرق البحر اليها وجعلها دار صناعة فاخرج اليها الماء واجراه من البحر اليها فخرج الى حسان اهل قرطاجنة باجمعهم فحاربوه حربا شديدا فهزمهم الله عز وجل بين يديه وملك حسان رضى الله عنه حصن تونس وقرطاجنـة فلما رأت الروم شدته وقهره لهم وعلموا انهم لاقدرة لهم به ولا طاقة سألوه الصلح وان يضع عليهم الخراج فاجابهم حسان الى ذلك ووافقهم عليه فادخلوا عند ذلك ثقلهم فى مراكب كانت معدة عندهم فى البحر وهربوا ليلا باجمعهم من باب يقال له باب النساء وحسان رضى الله عنه لاعلم عنده بما فعلوه من هروبهم وتركوا مدينتهم خاليـة

لأحد بها ونزلوا بجزيرة صقلية ومضى بعضهم الى بلاد الاندلس ؛ فدخل عند ذلك حسان الى المدينة وبنى مسجدا وخرب بناءهم ورحل عنها راجعا الى مدينة القيروان حرسها الله تعالى واقام بها وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من اعدائهم وقطع الله شوكتهم واقر الله تعالى بها أعينهم وعلموا أن الله عز وجل قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعا لها وولى حسان بن النعمان الغسانى على صدقات الناس والسعى عليهم حنش بن عبد الله الصنعانى التابعى رضى الله عنه

ثم ان حسان بن النعمان لما تهدمت(١) بلاد افريقية وامن على اهلها رحل بمن معه من المسلمين والغنائم والاموال قاصداً عبد الملك بن مروان ومعه خمسة وثلاثون الف فارس وكان معهم من الذهب ثمانون الف دينار وقد جعلها حياطة عليها مع قرب الماء واستقامت افريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله عز وجل ملكة الكافرين فصارت القيروان دار اسلام وجميع من بافريقية الى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر ان شاء الله تعالى وذلك ببركة من اختطها ودخلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم اجمعين

ذكر فتح موسى بن نصير

وهو آخرها وأثبتها الموالى لفتح الامام ادريس الاكبر رضى الله عنه واليه الاشارة بقول الامام ابن غازى

وفتح الغرب لسوس الاقصى ۞ موسى وطارق بما لا يحصى
وجاءنا ادريس عام قعب ۞ وبنيت فاس فى عام قضب

والفاتح المذكور هو ابو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمى بالولاء صاحب فتح الاندلس كان من التابعين رضى الله عنهم وروى عن تميم الدارى رضى الله عنه وكان عاقلا كيسا شجاعا ورعا تقيا لله تعالى لم يهزم له جيش قط وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبى سفيان وكانت منزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية مامنعك من الخروج معى ولى عندك يد لم تكافئنى عليها فقال لم يمكننى ان اشكرك

(١) كذا . ولعل الصواب تمهدت

بكفر من هو اولى بشكرى فقال ومن هو فقال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك فقال وكيف لا أعلمك هذا فاغضض وامض قال فاطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله ورضى عنه. وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان والياً على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له ارسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة تسع وثمانين من الهجرة .

وقال أبو عبد الله الحافظ عبد الحميد فى كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير تولى افريقية سنة سبع وتسعين فارسله اليها فلما قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه ان بخارج البلاد جماعة خارجين فوجه اليهم ولده عبد الله فاتاه بماية الف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى فاتاه بمائة الف رأس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين الف رأس وقال ابو شعيب الصدفى لم يسمع فى الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقيـة خالية لاختلاف الايدى وكانت البلاد فى قحط شديد فأمر الناس بالصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين اولادها ووقع البكاء والضجيج فأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له الا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه الا لله عز وجل فسقوا حتى رووا

ثم خرج موسى غازيا وتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعا وسبا سبياً عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا اليه وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربرى ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر بالاسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقيـة ولم يبق فى البلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فى جيش من البربر ليس فيه من العرب الا نفر يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس وصعد الى جبل يعرف اليوم بجبل طارق نسب اليه لما حصل عليه وكان صعوده

اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين للهجرة فى اثنى عشر الف فارس من البربر خلا اثنى عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب وقت التعـبية وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره فى حرف الحاء فى تاريخ الاندلس . وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الاندلس ملك يقال له لدريق

ولما احتل طارق الجبل المذكور كتب الى موسى بن نصير انى فعلت ما أمرتنى به وسهل الله سبحانه فى الدخول . فلما وصل الكتاب الى موسى ندم على تأخره وعلم أنه إن فتح نسب الفتح اليه دونه فأخذ فى جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه الا بعد الفتح وكان لدريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف فى المملكة شخصا يقال له تدمير والى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالاندلس فلما نزل طارق بالجبل الذى فتحه كتب تدمير الى لدريق الملك أنه وقع بأرضنا قوم لا ندرى من السماء هم أم من الارض فلما بلغ ذلك لدريق رجع عن مقصوده فى سبعين الف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم فى الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أضيع من الايتام فى مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات الا ما تستخلصونه من أيدى أعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته المحصنة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ان سمحتم بأنفسكم للموت وانى لم أحذركم أمرا انا عنه بنجوة ولا أحملكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس الا ابدأ فيها بنفسى واعلموا انكم اذا صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه

الالد طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه أوفر من حظي وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان والرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دون المسلمين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أنى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لدريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى في عزيمتى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون(١)

فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في قتال لدريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت قواهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا لقد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فاننا معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لدريق وكان قد برز بمتسع من الارض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان ركبوا وعبوا كتائبهم وحمل لدريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل في غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبأيديهم القسى العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لدريق قال أما والله ان هذه الصور التى رأيناها في بيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب ونحن نتكلم عن بيت الحكمة آخرا فلما رأى طارق لدريقا قال لاصحابه هذا طاغية القوم وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة بين يدى لدريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى

---

(١) في الاصل تحريف كثير في هذه الخطبة . وقد أصلحناها بالمقابلة على ما في نفح الطيب (طبعة مصر سنة ١٣٠٢هـ) المجلد الاول ، الصفحة ١١٢

أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له ياطارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك بالاندلس فاستبحها هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم أنته الى البحر المحيط وأخض فيه بفرسى فلم يزل طارق يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية وهى على ساحل البحر المحيط

وقال الحميدى فى جذوة المقتبس ان موسى نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه إلى الشام وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه وتعالى على يديه وما معه من الاموال فى سنة أربع وتسعين للهجرة وكانت معه مائدة سليمان بن داود التى وجدت فى طليطله على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث أنها حملت على بعير قوى فما سار إلا قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين الف فارس ويقال إن الوليد نقم عليه أمرا فلما وصل اليه بدمشق أقامه فى الشمس يوما كاملا فى يوم صائف حتى خر مغشيا عليه. وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه. مع انى تركت الاكثر واتيت بالمقصود، ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج فى سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات فى الطريق بوادى القرى وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن خلكان وأصل بيت الحكمة ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان إلى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يوم زال ولا

ملكها أحد من الملوك ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت صورة المعمور عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجله وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى أخس اجزاء الطائر وكانت اليونان لا ترى اشتغال الامم بالحروب لما فيها من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان أمرها عندهم أهم الامور. فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما ساروا اليها اقبلوا على عمارتها بشق الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنات والكروم وشيدوا الامصار وملأوها حرثاً ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأوا بهجتها ان الطائر الذى صورة العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاووسا معظم جماله فى ذنبه فاغتبطوا بها أتم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة طليطلة لانها وسط البلاد

وكان أهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا ليس ثم من يحسدهم على رغد العيش الا أرباب الشظف والشقا (؟) وهم طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا . ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم الا تعدية البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا نفورا وكثر تحذرهم من مخالطتهم فى نسل أو فى مجاورة حتى أثبت ذلك فى طبائعهم وصار بعضهم مركبا فى غرائزهم فلما علم البربر عداوة الاندلس لهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد اندلسيا الا مبغضا بربريا ولا بربريا الا مبغضا اندلسيا الا ان البربر أحوج إلى أهل الاندلس من أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدمها ببلاد البربر

وكان بنواحى غرب جزيرة الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادوس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك فخطبها كل منهم ولكن خاف أبوها من تزويجها لواحد من إسخاط الباقين فتحير فى أمره واحضر ابنته المذكورة وكانت الحكمة مركبة فى طباع القوم ذكرهم واناثهم وكذلك قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الارض

على أدمغة اليونان وأيدى أهل الصين وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال يا بنية انى قد أصبحت فى حيرة من أمرى. قالت وما حيرك ؟ قال خطبك جميع ملوك الاندلس ومتى رضيت واحداً أسخطت الباقين فقالت اجعل الامر إلى تخلص من اللوم فقال وما تصنعين قالت أقترح لنفسى أمراً فمن فعله كنت زوجته ومن عجز عنه فليس يحسن به السخط قال وما الذى تقترحين قالت اقترح أن يكون ملكا حكيما قال نعم الذى اخترته لنفسك وكتب فى أجوبة الملوك الخطاب «انى قد جعلت الامر اليها فاختارت من الازواج الملك الحكيم» فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيما . وكان فى الملوك رجلان حكيمان فكتب كل منهما اليه أنى أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتى به فايهما سبق الى الفراغ مما التمسته تزوجت به قال وما الذى تقترحين عليهما قالت إنا ساكنون هذه الجزيرة واننا محتاجون إلى رحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر ان يتخذ له طلسما يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستطرف أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته ابنته فاجابا الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد فى عمل ما اليه من ذلك

فاما صاحب الرحى فانه عمد الى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبته وسدد الفروج التى بين الحجارة بما اقتضته حكمته واكمل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبته والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها يعبر الناس عليها من سبته الى الجزيرة والله أعلم أى القولين اصح، فلما صح تنضيد الحجارة للملك الحكيم جاب عليها الماء العذب من موضع عال فى الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية

وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله

غير أنه عمل أمرا وأحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل حفر أساسه الى أن يجعله تحت الارض بمقدار وارتفاعه فوق الارض ليثبت ، فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى له لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر قائم فى رأسه جعودة متأبط صورة كساء جمع طرفيه على يده اليسرى بأرطب تصوير وأحكمه وفى رجليه نعل وهو قائم من رأس البناء بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله ينيف عن ستين وهو مجرد الاعلى الى أن ينتهى الى ماسعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه كأنه يقول لاعبور. وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه أنه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرى حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للرحى والطلسم يتسابقان الى التمام من عملهما اذ كان بالسبق يستحق التزويج . كان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ فيه صاحب الطلسم فى آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وادار الرحى واشهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا طلسمات فى أوراق اختاروا ارصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت بابا واقفلوه وتقدموا الى كل ملك منهم أن يعد صاحبه أن يلقى على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك .

ولما حان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة الاندلس وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس فى ملكه قال لوزرائه وأهل الرأى من دولته قد وقع فى نفسى من أهل هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا وأريد أن أفتحه لانظر ما فيه

فانه لم يعمل عبثا قالوا أيها الملك صدقت انه لم يعمل عبثا ولا أقفل سدي بل المصلحة أن تلقى أنت عليه قفلا أسوة بمن تقدمك من الملوك وكانوا آباءك وأجدادك فلم يهملوه فلا تهمله وسر سيرهم فقال ان نفسي تنازعني الى فتحه ولا بد لى منه فقالوا ان كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فاصر على ذلك وكان رجلا مهابا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيئا سوى مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ورأى في ذلك البيت تابوتا وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفي جانب التابوت صور فرسان مصورة باسباع (كذا) محكمة التصوير على أشكال العرب ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدو السيوف المحلاة معتقلو الرماح فامر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم . فهذا بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لدريق ما في الرق ندم على مافعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى .

الدولة الاولى الدولة الادريسية

الزرهونية والعباسية

وقد علمت مما تقوم في المقدمة أن أول هذه الدول الشريفة كان مقدم الامام ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول ملوكها وقام من بعده خلفاؤه الثلاثة مولاه راشد بن مرشد الزبيدى وأخوه من الرضاعة وصهره عبد المجيد الأوربي واخوه عمر الى أن استحق القيام بها ولده مولانا ادريس الاصغر فوليها وهو ثاني الخلفاء وتولى الخلافة من بعده ولده الامام محمد بن ادريس وهو ثالث الخلفاء وتولى الخلافة من بعده ولده مولانا على وهو

رابع الخلفاء. قال العلامة العراقى فى سياق كلام له ما نصه وذلك أن سيدى محمد بن مولانا إدريس بانى فاس هو أكبر أولاده الاثنى عشر هو الخليفة من بعده وكان استيطانه بفاس الى أن توفى بها ودفن مع أبيه وأخيه بشرقى جامع الشرفاء من حضرة فاس فى شهر ربيع الثانى سنة احدى وعشرين ومائتين واستخلف ولده عليا فى مرضه الذى توفى فيه وهو الملقب بحيدرة وأمه حمدة واسمها رقية بنت اسماعيل بن منصور بن مصعب. وسنه يوم بويع تسعة أعوام وأربعة أشهر. فسار فى الناس بسيرة آبائه الكرام فى تلك الايام الى أن توفى بها فى شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومائتين ودفن مع أبيه محمد وجده ادريس وعمه عمر فى الموضع المذكور واستخلف أخاه يحى وأعقبهم أولاد عمه بفاس وأولاد القاسم ومازالوا يتداولون الخلافة الى أن جاء من أخرجهم منها أوائل المائة الرابعة زمن ابن أبى العافية. وقال فى المغرب مانصه ولما دخل مولانا ادريس الاكبر المغرب الاقصى وجد أهله على ثلاث فرق يهود ونصارى ومجوس ودعاهم الى دين الله وعبادته وسنته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاجابوه لذلك واتبعوه خفافا وثقالا الى أن بويع له بالسمع والطاعة واتباع الكتاب والسنة وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان من سنة اثنين وسبعين ومائة فكثرت اتباعه وظهر دين الله واغزى من القبائل من لم يجبه الى الاسلام فعظم أمره وبلغ خبره الى هارون الرشيد فبعث اليه من بغداد سليمان بن جرير ليخدمه وينسب اليه لكونه من وطنه وأهل بلده فحن اليه ادريس وأقبل عليه وقربه لاجل ذلك وصار ابن جرير المذكور يعرف الاوطان وصار يعرف الناس من أنه فى العراق سيد وفاضل وماجد وانه كان عند أهل العراق فى شأن عظيم ودرجة رفيعة ومقام كريم فاستحسن منه السيد ادريس فعله وادبه فادناه وقربه فكان يخلو معه الى أن وجد فيه الفرصة فسمه فى تفاحة كان استعدله بها من عند هارون الرشيد مدبرة فمات السيد ادريس حين شمها وخرج هاربا فتبعه راشد فلحق به فضربه ومنع منه ونجا الى أن وصل بغداد وقد رآه رجل من فاس فى حمام بغداد وهو مقطوع اليد وفى رأسه شجة. قال والسيد ادريس توفى فى أوائل شهر ربيع الاول سنة سبعة وسبعين ومائة فكانت أمارته خمس سنين وستة أشهر بعد سبعين ومائة وترك زوجته حاملا فاجتمعت القبائل وأعيان القوم على عبده راشد وأمروه أن

يتصرف على حاله كيف كان فى حياة سيده الى أن تضع الزوجة حملها فأجابهم لذلك الى أن وضعت الزوجة حملها فزاد عندها ولد فتسمى على اسم والده مولانا ادريس وبقى راشد يدبر أمره مع أشياخ القبائل الى أن وصل من السنين احدى عشرة سنة وحفظ كتاب الله العزيز فأمر راشد باحضار أهل المغرب وأعيان القبائل فحضر الناس بكثرة فاتفقوا على بيعة مولانا ادريس بن ادريس .

وكان ذلك فى عام ثمانية وثمانين ومماية ؛ وفى تلك السنة أسس السيد ادريس مدينة فاس وانجلبت اليها الناس من كل مكان فاول من عمر فيها من أحوازها أهل زرهون ومغيلة وأهل سائس وأهل المطا وسدنية ولواقت وسفرو وابن يارغة وهوارة وغيرهم من القبائل والجبال فأتت الناس اليها من كل ناحية ومكان وكانت أيامه نفعنا الله به أيام هدنة ورخاء وخصب وفرح وسرور وكان مسددا فى أموره وأحواله وكان حازا لا يغفل عن مصالح الدين والدنيا وكان يأمر الناس بهما ويحضهم على العمارة وانجلبت اليه الناس من مشرق ومغرب وانزرعت فى قلوب الناس محبته من نسبه ومسيره الى أن توفى رحمه الله ودفن فى زرهون بازاء أبيه فى وليلى اسم البقعة التى دفن فيها وذلك فى سنة ثلاث عشرة ومايتين فكانت أيامه وعدة سنينه ستة وثلاثين سنة وكان سبب موته عنبة شرقت له فى حلقه فمات من حينه فكفن وحملوه إلى زرهون فدفن بوليلى بازاء أبيه وأما القبر الذى هنا فى فاس فى مسجد الشرفاء فهو قبر السيد محمد بن ادريس الاصغر رحمه الله . وخلف رحمه الله اثنى عشر من الاولاد وتولى بعده ولده محمد وقسم لاخوانه البلاد وكانوا تحت طوعه وكان هو اكبرهم ومن بعد ما فرقهم اختل أمرهم وقاموا على بعضهم بعضا وكثر الهرج وقتل بعضهم بعضا وتفصيل ذلك فى كتاب القرطاس ثم توفى الامام محمد فى ربيع الثانى سنة احدى وعشرين ومايتين فكانت أيامه بعد أبيه ثمانية أعوام ثم تولى بعده ولده على من تسع سنين فكانت أيامه صغيرة وتوفى عام أربع وثلاثين فكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وولى أخوه يحى وهو الذى أمر ببناء القرويين وأمر ببناء الحمامات ثم ولى الملك على بعد وفاة يحى ثم قام عليه عبد الرزاق الخارجى الاندلسى من ناحية غياثة وتبعه أناس من البربر كثيرة وأخذ مواطن وقرى فخرج اليه على الادريسى فقاتله فانهزم على ودخل عبد الرزاق إلى فاس

فملك عدوتها وكان اكثر أهل الاندلس الذين خرجوا من أرضهم ونفاهم بنو أميه وكانوا فى العدوة منهم ثمانية آلاف رجل فاستصحب بها عبد الرزاق فرجع اليه يحي الاندلسى بعد ما انهزم على وقاتل معه وحدثت بعد قتله حروب كثيرة اختصرنا على ذكرها وتولى ملك فاس يحي وقتل من الاندلس أقواما كانوا فى عصبة عبد الرزاق الخارجي وكان السيد يحي المذكور ملك فاسا واحوازها وكان حاذقا شجاعا كريما غالبا عادلا وكان أفضل الادارسة الى أن قام عليه أبو مصلة المكناسى وهو قائد عبد الله الشيعى القائم بأمر افريقية وذلك فى سنة خمس وثلاثمائة فخرج يحي لقتاله فالتقي الجمعان فهزم يحي ودخل لفاس مهزوما وانحصر فيها وطال حصاره الى أن صالحه يحي وبايع لعبد الله الشيعى صاحب افريقية فارتحل عن فاس أبو مصلة قائد الشيعى ورجع الى القيروان فلما عزم على الرجوع أرسل الى موسى بن أبى العافية وكان ذا مال وجاه وماشية وكان نازلا على حوزة تازة وصنع مع قائد الشيعى ابن مصلة خيرا كثيرا وقاتل معه يحي فلما ارتحل أبو مصلة عن فاس أرسل الى موسى بن ابى العافية وقدمه على أمور المغرب كلها وعمالة الغرب كلها تحت يديه وأما السيد يحي فلما بايع الشيعى صاحب افريقية اشترط عليه قعوده فى فاس فقط ولا له أمر ولا نهى على غيرها فى عمالة أهل المغرب لاجل خدمته وقتاله مع صاحب افريقية فصار يتصرف فى المغرب ويجمع خراجه وصار السيد يحي يحضر أحواله ويضرب على يده فكتب به الى أبى مصلة واعلمه بفعل يحي فتحرك اليه ثانية أخرى من إفريقية وذلك فى سنة تسع وثلاثمائة فخرج اليه يحي ليتلقاه مع جموعه فقبضه أبو مصلة وأوثقه فى الحديد ودخل به مقيدا لفاس وأخذ ما عنده من الذخائر والاموال ولما أخذ ما عنده سرحه وأنبذه الى أزيلا وكان فيها ابن عم له يعيش فيها فارسله اليه واقتطعه عن جموعه واقتصرنا عن حديث طويل ثم أراد الرجوع الى افريقية ليشتكى ما أصابه من أبى مصلة وما فعل به موسى بن أبى العافية وسجنه ثم هرب الى افريقية ومات فيها جوعا بعد حديث طويل فعند ذلك قدم أبو مصلة على موسى بن أبى العافية وصار يتصرف فى أمر المغرب ثم إن السيد الحسن دخل لفاس مع بعض رجاله مستخفيا وهو من الادارسة وقام فيها وذلك فى سنة عشر وثلاثماية فبايعه فيها نفر من أصحاب موسى بن أبى العافية فكانت بينهم حروب

فمات بين الفريقين نحو أربعة آلاف وانهزم ابن أبي العافية ورجع السيد الحسن للناس دون عسكره فقبضه عامل إفريقية كان مضروبا على يده حين دخل الحسن دون عسكره لانه مبنى فى القتال مع ابن أبي العافية وقبضه العامل وأوثقه فى الحديد وأرسل موسى بن أبي العافية فاصبح بفاس وأرسل الى العامل ليمكنه من الحسن ليقتله فابى العامل فاطلقه بالليل ليهرب الى الغد ويختفى فطاح من السور وانكسر ومات بعد ثلاثة. وبعد أن مات الحسن تولى ابن أبي العافية فاسا وذلك سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة فصار يبحث عن الادارسة ليقتلهم فهربوا منه وانجلوا الى كل جبل وصار يتصرف فى أوامر المغرب باديه وحاضره وبايع صاحب افريقية • أرسل اليه قائده حمدان ثم مات ثم أرسل موسى الى صاحب قرطبة أمير المؤمنين الناصر لدين الله وبقي على أمره عاملا على فاس واختصرنا على كلام طويل الى أن مات ابن أبي العافية وتولى أولاده بعده شيئا بعد شيء على اذن الشيعى لانهم نقضوا بعد ابيهم بيعة الناصر لدين الله صاحب قرطبة وصار الادارسة الذين تبقوا بعد وفاة الحسن بايعوا الشيعى صاحب افريقية وانحزموا الى قتال ابن أبي العافية وكانت بينهم حروب كثيرة ووقائع يطول ذكرها الى أن تولى فاس من تحت الشيعى صاحب افريقية وهو من الادارسة السيد القاسم وتولى أيضا بعده من الادارسة أبو العيش وبعده الحسن وهو آخرهم واقتصرنا فى حديثهم والبقاء لله الواحد القهار انتهى.

وقد أشار الى مضمون هذا فى الاقنوم بقوله • ذكر دولة الادارسة •

قد جاء راشد بادريس الامام • وفى وليلى عام قعب قد أقام
وامتد ملكه الى أن وصلا • الى الرشيد فلذاك ارسلا
من سمه فمات عام زعق • وقام راشد بأمر الخلق
وكان قد ترك حملا وضعا • ولده أدريس منه بويعا
وهو ابن احدى عشرة من السنين • واختط عام قطب فاس المعين
ومات فى ريب وبعد وليا • ولده محمد توفيا
سنة ركا ثم بعده على • ومات فى ولد وبعده ولى
يحيى الجعيد بعده أو الحسن • وقام موسى عام سبح فامتسن
محمد احسنهم من بعده • وعام جص اختبى فى لحده

وعادت الدولة للادارسة ☆ من بعد أن قد صيروها دارسة
بعد محمـــد تولى القاسم ☆ ثم أبو العيش الاخير منهم
وهو ابنه فانقرضت فى الدوله ☆ فى عسه فمن بهم للمله

هذا اجماله وأما تفصيله فينبغى أن يذكر ذلك على وجه يستدعى بيان سبب قدومه وما لقى فى قدومه وبيعته وغزواته وفتوحاته الى وفاته وسبب موته وقيام خلفائه من بعده وبيان سيرته الحميدة وأوصافه الجزيلة المجيدة وقيام جعيدة من بعده على سنن أبيه وجده رضى الله عنهم أجمعين وعنابهم آمين على فصول مرتبة بنقول مهذبة ٠ اهـ ٠

الفصل الاول

فى سبب قدومه وما لقى فيه وبيعته وغزواته الى وفاته

فاعلم أنه قد قال أبو الحسن ابن أبى زرع فى كتابه الانيس المطرب روض القرطاس فى سبب اتيان مولانا ادريس للمغرب ان أخاه النفس الزكية محمـــد بن عبد الله الكامل قام بالحجاز على أبى جعفر المنصور عام خمس وأربعين ومائة منكرا عليه فارسل اليه ابو جعفر جيشا عظيما فهزم النفس الزكية وقبض على جماعة من أصحابه وفروا الى بلد النوبة الى أن قام المهدى بعد موت المنصور فارسل اليه فظهر النفس الزكية بمكة فبويع بالموسم وتبعه أهل مكة والمدينة وأهل الحجاز وكان له ستة أخوة وهم يحيى وسليمان وابراهيم وعيسى وعلى وادريس فبعث عليا الى افريقية فاجابه بها خلق كثير من البربر وبقى هناك الى أن توفى وبعث يحيى الى خراسان فاقام بها ان قتل أخوه محمـد ففر الى الديلم فاسلم على يديه خلق كثير ودعا لنفسه فبايعه خلق كثير وقوى أمره وذلك فى خلافة الرشيد فلم يزل يبعث اليه الرشيد بالجيوش ويحتال حتى أتاه بالامان فاقام عنده الى أن مات مسموما فى زمن الرشيد وبعث سليمان الى مصر داعيا فلما اتصل به قتل أخيه محمد سار الى بلاد النوبة ثم الى السودان ثم وصل الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها فى ايام اخيه ادريس فكان له بها اولاد كثيرون فكل حسنى هناك من نسل سليمان بن عبد الله وقد دخل اكثر اولاده الى المغرب والسوس والاقصى. وأما النفس الزكية فلما قويت شوكته بمكة قاتل المهدى فى

عسكر عظيم من الحجاز واليمن وغيرها على ستة أميال من مكة فقتل النفس الزكية بعد قتال شديد وانهزم جيشه وقتل منهم كثير فى يوم السبت فى ذى الحجة سنة تسع وستين ومايه وفر أخوه ابراهيم إلى البصرة فاقام بها ولم يزل يحارب أعداءه حتى قتل وفر أخوه مولانا ادريس مستسراً من مكة حتى وصل مصر مع مولاه راشد فلقيهما رجل من أهل الخير والدين والمحبة لاهل البيت فاستأمناه على سرهما فاعطاهما الامان فاخبراه فاكرمهما وأقاما عنده مدة واخبره راشد بانه يريد المغرب بلاد البربر قائلا انه بلدنا لعله يأمن فيه وهذا يدل على أن أصل راشد من المغرب وقد قال صاحب الاستبصار راشد أصله من البربر قبيلة أوريد اه قيل أنه سبي مع أبيه فى غزوة موسى بن نصير ثم قفل مع أبيه الى المشرق وهو صغير ثم اتى مع ادريس ودله على المغرب ثم اتصل خبرهما بعامل مصر على بن سليمان الهاشمى فبعث الى الرجل فقال إنه قد رفع الى خبر الرجلين الذين عندك وإن أمير المؤمنين قد كتب الى فى طلب الحسنيين والبحث عمن وجد منهم وقد بعث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد فى أطراف البلاد فلا يمر أحد منهم حتى يعرف ويعرف صحة نسبه وحاله ومن أين قدم والى أين يسير وانى أكره أن اتعرض لدماء أهل البيت وأن ينالهما أذى بسببى فلك ولهما الامان سر اليهما واعلمهما بمقالى وقل لهما يخرجان من عملى لئلا يصل خبرهما الى المهدى فيخرجكم من يدى وقد أجلت لكم فى الخروج ثلاثة أيام. فسار الرجل وأعلمهما فعزما على الخروج الى المغرب فاشترى الرجل لهما راحلتين ولنفسه أخرى وصنع لهما زادا يبلغهما الى افريقية وقال لراشد أخرج مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع مولانا ادريس على طريق غائض أعرفه لا تسلكه الرفاق وموعدنا مدينة برقة انتظرك حيث آمن عليك من الطلب فقال الرأى ما رأيت. فخرج راشد مع الرفقة على الجادة فى زى التجار وخرج مولانا ادريس مع الرجل فى البرية حتى وصل مدينة برقة فقعدا فيها حتى وصل راشد ثم جدد الرجل لهما هنالك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر . وقال التنسى إنه أتى مصر مع مولاه راشد فاقام مستخفيا بها فانتهى خبره الى صاحب البريد بها وهو واضح مولى صالح ابن منصور الحميرى وكان متشيعا فاتى الموضع الذى كان فيه مختفيا فلم ير أصلح له من أن يحمله على البريد الى المغرب ففعل فبلغ ذلك هارون الرشيد فاخبر أن

الذى أجازه الى المغرب واضح المذكور فامر به فضرب عنقه وصلب . قال فى الانيس وسار ادريس مع مولاه راشد إلى افريقية يجد السير حتى وصلا الى القيروان فاقاما بها مدة قال وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لاهل البيت رضى الله عنهم فعمد الى ادريس حين خرج من القيروان والبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة غليظة وصيره كالخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحياطة. فلم يزل على ذلك حتى وصل مدينة تلمسان فاستراحا بها أياما ثم ارتحل منها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادى ملوية ودخلا السوس الادنى حده من وادى ملوية الى وادى أم الربيع وهو أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة فدخلا طنجة واقاما مدة فلم يجد مولانا ادريس بها مراده فخرج مع مولاه راشد حتى نزلا بمدينة وليلى قاعدة جبل زرهون وكانت وليلى متوسطة خصيبة كثيرة المياه والغراس والزيتون وكان لها سور عظيم وهى بلدة قديمة البناء ويذكر أنها من بنيان القبط وهى معروفة الآن بقصر فرعون ولما وصل مولانا ادريس اليها نزل على صاحبها الامير اسحاق ابن محمد بن عبد المجيد الاوربى المعتزل فاقبل على مولانا ادريس واكرمه وبالغ فى بره فاظهر له ادريس امره وعرفه نسبه فوافقه على حاله وانزله معه بداره فتولى خدمته والقيام بشئونه وكان دخول مولانا ادريس المغرب ونزوله على عبد المجيد فى غرة ربيع أول سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام عنده ستة أشهر .

وأما بيعته وغزواته فانه لما دخل شهر رمضان من السنة المذكورة جمع عبد المجيد اخوته قبائل أوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرابته من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وعلمه ودينه والفضائل المجتمعة فيه فقالوا الحمد لله الذى أتانا به وشرفنا بجواره ورؤيته فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه فما تريد منا ؟ قال تبايعونه فقالوا سمعا وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد فبايعته قبائل أوربة وكانوا فى ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب واكثرها عددا وأشدها قوة وبأسا وأحدها شوكة فكانوا هم أنصاره الاولين ثم بعد ذلك قبائل زناته واصناف قبائل البرابرة من أهل المغرب منهم زواغة وزراة ولماية وسدراته وغياثه ونفزة ومكناسة وغمارة فبايعوه ودخلوا فى طاعته ولما استقام أمره أخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناتة وأوربة

وصنهاجة وهوارة وغيرهم فخرج غازيا الى بلاد تامسنا كما يأتى بيان ذلك وذكر بعض أهل العلم أن عبد المجيد تاب من اعتزاله على يده وحسنت توبته وفى تاريخ دخوله المغرب يقول الامام ابن غازى رحمه الله تعالى

وجاءنا ادريس عام تعب ⁂ الى وليلى بأقصى المغرب
اذ قام مدة على المهدى الخ

وما زال رضى الله عنه يدعو الى الله عز وجل ويقاتل على إعلاء كلمة الله الى أن طهر الله المغرب من أنواع الكفر والضلال كما يتبين بعد ثم أنه لما استتم أمر مولانا ادريس رضى الله عنه تجهز غازيا الى بلاد تامسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها مدائن سائر بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فأسلم جميعهم على يديه ثم رجع الى مدينة وليلى فدخلها فى آخر شهر ذى الحجة من سنة اثنين وسبعين ومائة فاقام شهر المحرم مفتتح سنة ثلاث وسبعين ومائة واستراح الناس ثم خرج برسم غزو من بقى بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية وكان قد بقى منهم بقية متحصنون فى المعاقل والجبال والحصون المنيعة فلم يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها وفتح بلادهم ومعاقلهم واباد من ابى الاسلام منهم بالقتل والسبى ودمر بلادهم ومعاقلهم منها حصون مندلاوة وحصون مديونة وبطلوله وقلاع فياثة وبلاد بارز ثم رجع من هذه الغزوات الى مدينة وليلى فدخلها فى النصف من جمادى الاخيرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة فأقام النصف من رجب حتى استراح الناس ثم خرج فى النصف الاخير من رجب المذكور برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوه وبنى يفرن فوصل مدينة تلمسان ونزل بخارجها فأتاه اميرها محمد بن حرز المغراوى فطلب أمانه فأمنه وبايعه محمد بن حرز وجميع من معه بمدينة تلمسان فدخلها ادريس صلحا فأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنها وصنع بها منبرا وكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وذلك فى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة ثم رجع الى وليلى وتوفى بها كما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى فاستبان من هذا أنه على يديه

أسلم أهل المغرب وانه هو الذى أتاهم بالايمان وقد علم أنه رضى الله عنه توفرت فيه شروط الخلافة علما ونسبا

أما الشرط الاول الذى هو العلم فقال الامام زكرياء فى همزيته

كان بحرا من العلوم فحقت … منه فينا خلافة ودعاء

قال فى شرحها يأتى بعد هذا البيت دليل علمه تفصيلا وأما الدليل الجملى فهو رضى الله عنه من تابع التابعين مع شدة قربه من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم أن اماء الصحابة والتابعين أعلم من أكابر علماء من تأخر عنهم من العصور كما قال الشيخ السنوسى وغيره فما بالك بمن كان منهم من أبناء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك تعلم أنه قد توفرت فيه شروط الخلافة ولا يرد عليه أصلا خلع بنى العباس والخروج عليهم فانه عهد اليه أخوه محمد النفس الزكية بالامامة كما عهد الى اخوته سليمان وابراهيم ويحيى والنفس الزكية انعقدت له الامامة قبل بنى العباس فقد ذكر غير واحد أنه لما تزلزلت قواعد ملك بنى أمية وضعف أمرهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وبايعوا بالخلافة للنفس الزكية وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور العباس قال فى كتاب ترجمان العبر فبايع المنصور فيمن بايع من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم بما علموا له من الفضل عليهم ولهذا كان مالك وابو حنيفة رحمهما الله تعالى ورضى عنهما يحتجان اليه ويرجحان امامته على بنى العباس لأن بيعة النفس الزكية كانت فى عنق أبى جعفر بالحجاز ويريان امامته أصح من امامة أبى جعفر لانعقاد هذه البيعة من قبل اهـ . وقد قيل إن سبب ضرب أبى جعفر للامام مالك أنه أفتى بأن بيعة أبى جعفر لا تلزم لانها على الاكراه وهذه رواية الاكثر وانظر الحطاب فى شرح ديباجة المختصر . وقال حذاق المالكية الامامة تنعقد بعد الامام الاول وان لم يشاور أهل الحل والعقد وان ذلك حكم ماض حكم به على المسلمين على أن الامام مولانا ادريس رضى الله عنه من أئمة الاجتهاد فقد فعل ما أداه اليه اجتهاده فهو مأجور على كل حال . وقد تقدم عن سيدى موسى الزياتى انه من التابعين وليس ببعيد وعليه جزاء بعض القدماء من أهل العلم الذين مدحوه حيث قال

زرهون أشرف ما فى الارض من بقع … اذ فيه قبر عظيم من ذوى كرم

وذاك قبر الامام التابعى الذى … من آل بيت الرسول سيد الامم

ادريس أجمل خلق الله فيه اذن ❊ وهو الامام لهم فى الحشر بالعلم

ومن قال بتفضيل زرهون لدفن مولانا ادريس وثوى فيه حيا وميتا فجاوز زرهون التفضيل من أجله فكما طابت طيبة بحلول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وميتا كذلك طاب زرهون ايضا بحلول ادريس حيا وميتا ومن قال بتفضيله العلامة الكبير سيدى محمد السبتى رحمه الله تعالى

وأما الدليل التفصيلى فقد قال الامام زكرياء فى شرح قوله من همزيته

« نفع مولاه راشد لابنه اد ريس فيه اماء »

ما نصه : —

هذا دليل علم سيدنا ومولانا ادريس بن عبد الله على سبيل التفصيل وبيانه أنه لما شب ولده مولانا ادريس الاصغر رضى الله عنه علمه مولى أبيه راشد العلوم العقلية والنقلية من فقه وحديث وتفسير ولغة وبلاغة وغيرها حتى علوم السياسة الى ان تمهر فيها فاذا كان هذا علم المولى التابع الخادم فما ظنك بعلم السيد المتبوع المخدوم وما استفاد ذلك راشد إلا منه ولا أخذ الا عنه وقد تقدم أن منشأ راشد وأصله من المغرب من البربر وهو راشد بن منصت الاوربى وانه سبى مع أبيه فى غزوة موسى بن نصير وقفل مع أبيه الى المشرق وهو صغير ثم أتى مع مولانا ادريس ودله على المغرب

واما الشرط الثانى الذى هو النسب فقد بلغ العلم بشرفه وصحة نسبه وانه ادريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على رضى الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ التواتر المفيد للقطع واليقين واستفاض على السنة الخاصة والعامة استفاضه بلغت اعلى مراتب الاستفاضة واقوى أنواع التواتر انعقد على ذلك الاجماع وذكر ذلك وصرح به جماعة من فحول أهل العلم واكابرهم كمصعب بن ثابت بن عبد الله الزبير بن العوام لقى مالكا وروى عنه كتاب الموطأ وغيره وخرج له النسائى وابن ماجه وغيرهما فانه ذكر ادريس بن عبد الله وقدومه المغرب وذكر ولده مولانا إدريس قبل وفاة مصعب هذا بسبع وعشرين سنة وعاش مصعب ثمانين سنة أو ما يقرب منها والحافظ ابن حزم والقاضى عياض فى المدارك حين ذكر المحمودية والامام التجيبى ذكر ادريس وولده واخبارهما والامام الجزنائى فى

كتابه والامام العارف بالله سيدى الشيخ زروق فى كناشته فانه ذكره وذكر آباءه ورفع نسبه الى النبى صلى الله عليه سلم والامام الولى الصالح موسى بن عبد الله الزياتى والامام التنيسى فى كتابه الدر والعقيان والامام الكبير العلامة الشهير ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون والامام المسعودى وابن الخطيب التلمسانى وابن السكاك المكناسى والامام العلامة أبو العباس احمد الونشريسى والامام ابن غازى وقد سبق شىء من نظمه والامام الشاطبى وشيخ الجماعة الامام ابن القصار والامام النوزرى المصرى فى شرح الشقراطة وغيرهم ويكفى فى القطع بصحة هذا النسب الكريم انتساب القطبين الكريمين والغوثين الجامعين الشهيرين امامى طريقة الفتح والوصول الى انقراض الدنيا مولانا عبد السلام بن مشيش ومولانا أبى الحسن الشاذلى نفعنا الله بهما واعتمادهما عليه

الفصل الثانى

فى سبب وفاة سيدنا ومولانا ادريس رضى الله عنه

وذلك انه لما اشتهر ذكره وعلا صيته وامره وفشا خبر غزواته وفتوحاته ودخول الناس فى طاعته واستجابتهم لدعوته طوعا وكرها وتسخير القلوب له ، خاف الرشيد ان يعظم امره حتى يصل اليه لما يعلم من كماله وفضله وحب الناس له فاغتم لذلك غما شديدا فبعث الى وزيره المدبر لمملكته يحيى بن خالد البرمكى يستشيره فيه وقال انه من ولد على بن ابى طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قوى سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر اسمه وظهرت فتوحاته وقد فتح تلمسان وهى باب افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار وقد عزمت ان ابعث له جيشا عظيما لقتاله ثم تفكرت فى بعد البلاد وطول المسافة وتنافى المغرب عن المشرق ولا طاقة لجيوش العراق الى الوصول الى السوس من ارض المغرب فرجعت عن ذلك وقد هالنى امره فاشر على برأيك، فقال يحيى بن خالد يا امير المؤمنين من الرأى ان تبعث اليه رجلا ذا حزم ومكر ولسان واقدام وجرأة يقتله وتستريح منه، فقال الرأى مارأيت فمن يكون الرجل؟ قال يا أمير المؤمنين اعرف فى جيشى رجلا اسمه سليمان ابن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدل والدهاء

نبعثه اليه فقال اسرع بذلك فخرج الوزير الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يراد منه ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية فاعطاه أموالا اجلة وتحفا مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه فخرج من بغداد يجد السير مظهرا النزوع الى ادريس فيمن نزع متبرئا من الدعوة العباسية ومنتحلا للطالب حتى وصل الى المغرب فقدم على مولانا ادريس بمدينة وليلى بعد رجوعه من تلمسان فسلم عليه فسأله الامام مولانا ادريس عن اسمه ونسبه ومن أى البلاد قدم وما سبب قدومه الى المغرب فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وأنه اتصل به خبره فاتاه برسم خدمته لاجل محبته وولايته لاهل البيت فانس به مولانا ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وحل من قلبه بمنزلة رفيعة فكان لا يقدر أن يأكل الا معه لانه لم يجد فى بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره وذلك لجهل أهل المغرب وجفاء طباعهم ولما ظهر له فى سليمان المذكور من النبل والادب والفصاحة والبلاغة .قال فى المسالك سليمان الجريرى رجل من ربيعة كان متكلما يرى رأى الزيدية وكان حلوا شجاعا أحد شياطين الانس فكان اذا جلس مع الامام مولانا ادريس بين رؤساء البرابر ووجوههم يذكر فضائل أهل البيت وعظيم بركاتهم ويقيم الدليل على إمامة مولانا ادريس ويأتى فى ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وباحاديث وأخبار فأحبه ادريس وكان لا يأكل ولا يشرب الا معه فلم يزل يرتقب الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلا من أجل مولانا راشد الذى لا يزايله ولا يفارقه الى أن قدر الله تعالى أن غاب راشد ذات يوم فى بعض شئونه فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده فجلس بين يديه على عادته يتحدث معه مليا فلم ير راشدا فانتهز الفرصة فقال يا سيدى جعلت فداك إنى جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها ثم أنى لما رأيت هذه البلاد ليس بها طيب رأيت أن الامام أولى بها فخذها تتطيب بها فقد آثرتك بها على نفسى وهى من بعض ما يجب لك على ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه فشكره مولانا ادريس ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ولما تحصل مراده منه وتمت حيلته فيه جعل يده فى الارض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل وسباقها كان قد أعدها لذلك وخرج يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استنشقها مولانا ادريس صعد السم

الى دماغه فغشى عليه وسقط فى الأرض على وجهه لا يفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه واتصل خبر غشيته بمولاه راشد فاقبل مسرعا فدخل عليه ووجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت وهو لا يقدر يبين الكلام فقعد عند رأسه متحيرا فى أمره لا يعلم ما به حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الارض وأقام مولانا ادريس فى غشيته الى آخر النهار وتوفى رحمة الله عليه وكانت وفاته مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة فكانت امارته خمسة اعوام وسبعة اشهر . وقال النوفلى ثلاثة أعوام وستة أشهر فلما توفى نظر راشد إلى سليمان بن جرير فلم يجده فاخبر أنه لقى على أميال كثيرة فعلم أنه سمه فركب فى جمع كثير من البربر وخرج فى طلبه وجد السير طول ليله وتقطعت الخيل فى أثره فلم يلحقه من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز وادى ملوية فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجه فى رأسه ثلاث شجات وجرحه فى جسده ولا يصيب له مقتلا وكى جواد راشد ففر سليمان ابن جرير حتى وصل العراق فاخبر بعض الناس أنه لقيه ببغداد مشلولة يده اليمنى وبرأسه وجسده أثر الجراحات وقد برئت . قال النوفلى حدثنى من رآه بعد قدومه العراق مكنعا («والمكنع» كمعظم المقطوع اليد) وقال لما أتى سليمان الرشيد ولاه بريد مصرهم وماظنك برجل تجاسر على جانب النبوءة وتجرأ على حرمة مولانا على وسيدتنا فاطمة والحسن وقتل امام المسلمين وخليفة سيد المرسلين لاجل حظ دنيوى وقدر الله نافذ لا محالة والويل كل الويل لمن قدر الشر على يديه ورجع راشد إلى وليلى فأخذ فى جهاز مولانا ادريس فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة باب وليلى ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته وأما يحيى بن خالد صاحب هذا الرأى الفاسد فال أمره إلى أن سجن طويلا وقتل شر قتلة وشتت شمل جميع أقاربه وفرق جمعهم وسبى نساؤهم وذراريهم ودار عليهم الزمان بضروب الامتحان إلى أن القوا على المزابل كالقمامات وهكذا عادة الله فيمن آذى أهل البيت وقصد نكايتهم ينعكس وباله عليه

وقد علم ما وقع بقاتلى الحسين رضى الله عنه واجمال قصته أنه لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد ووردت بيعته على الوليد بن عتبة وكان الوليد عاملا لمعاوية على المدينة أرسل الوليد إلى الحسين وإلى عبد الله الزبير ليلا

فاتى بهما فقال بايعا فقالا لاشلت يمينك لانبايع سراً ولكنا نبايع على رؤوس الناس اذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما الى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب وعزل يزيد الوليد بسبب ذلك حيث كف عن الحسين وابن الزبير وأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة وذلك أن أهل الكوفة أرسلوا اليه ليبايعوه ويمحى عنهم ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وقال فأن أبيت فلا تذهب بأهلك فأبى فبكى ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فبكى ابن عمر وقبله ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل ونهاه ابن الزبير أيضا وكان أخوه الحسن قد قال له عند احتضاره إياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وكان أمر الله قدراً مقدورا .

وقد أخرج البغوى فى معجمه من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال استأذن ملك القطر ربه أنه يزور النبى صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان فى يوم ام سلمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة احفظى علينا الباب لايدخل أحد فبينما هى على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذى يقتل به فأراه فجاء بسهلة او تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته فى ثوبها . قال ثابت كنا نقول انها كربلا وأخرجه أيضا أبو حاتم فى صحيحه وروى احمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن احمد نحوه أيضا لكن فيه أن الملك جبريل فان صح فهما واقعتان وزاد الثانى أنه صلى الله عليه وسلم شمها وقال ريح كربلا (والسهلة بكسر اوله رمل حسن ليس بالرقاق الناعم) وفى رواية الملا وابن احمد فى زيادة المسند قالت ثم ناولنى كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الأرض التى يقتل بها فمتى صار دما فاعلمى أنه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته فى قارورة عندى وكنت أقول إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم وفى رواية عنها فاصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما وفى رواية أخرى ثم قال يعنى جبريل الا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قارورة

قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول

أيها القاتلون جهلا حسينا ✲ فابشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داود ✲ وموسى وحامل الانجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة فاذا الحصيات قد جرت دما واخرج ابن سعد عن الشعبى قال مر على رضى الله عنه بكربلا عند مسيره إلى صفين وحاذى قرية على الفرات وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفاً وأخبرنى أن ولدى الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى إياه فلم أملك عينى أن فاضت ورواه أحمد مختصراً عن على وروى الملا أن علياً مر بموضع قبر الحسين فقال هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون شهداء تبكى عليهم السماء والأرض وكان مما بعثه على الخروج مخافة أن يستباح حرم مكة بسببه فلما نهاه ابن عباس قال لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن يستحل الحرم بى قال ابن عباس فذلك الذى سلى نفسى عنه ولما نهاه ابن الزبير قال له مثل ذلك وفى رواية أنه قال لابن الزبير إن أبى حدثنى أن لمكة كبشا تستحل به حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش ولأقتل خارجها بشبرين أحب إلى من أن اقتل خارجها بشبر واحد ولما سار الحسين لقى فى مسيره الفرزدق الشاعر مقبلا من الكوفة فقال له بين لى خبر الناس فقال اجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء. وروى ان الحسين رضى الله عنه انشده

وإن تكن الدنيا تعد نفيسة ✲ فان ثواب الله اعلى وانبل
وان تكن الابدان للموت انشئت ✲ فقتل امرىء فى الله بالسيف افضل
وإن تكن الأرزاق قسما مقدراً ✲ فقلة حرص المرء فى الكسب اجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ✲ فما بال متروك به المرء يبخل

ولما بلغ كربلا والتقى الجمعان حمل عليهم وسيفه مصلت فى يده وانشأ يقول

أنا ابن على الحبر من آل هاشم ✲ كفانى به فخراً إذا حين افخر

وجدى رسول الله أفضل من مشى ❊ ونحن سراج الله فى الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد ❊ وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ❊ وفينا الهدى والوحى بالخير يذكر

وقد وافق رضى الله عنه بهذه الابيات ماأثنى عليه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج أبو الشيخ بن حبان فى كتاب السنة الكبير عن ربيعة السعدى قال أتيت حذيفة رضى الله عنه فسألته عن أشياء فقال اسمع منى وعد وابلغ الناس انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترانى وسمعته باذنى هاتين وقد جاء الحسين بن على رضى الله عنهما فجعله على منكبه وجعل الحسين يغمز بعقبه فى سرة النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت كف رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة وقد وضعها على ظهر قدم الحسين وهو يغمز بها سرة نفسه لئلا ينبهر وينقطع نفسه من الكلام ثم قال: أيها الناس هذا الحسين بن على خير الناس جداً وخير الناس جدة ، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وجدته خديجة سابقة نساء العالمين الى الايمان وهذا الحسين بن على خير الناس خالا وخير الناس خالة ، خاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعه على منكبه فدرج بين يديه ثم قال صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس هذا الحسين بن على جداه فى الجنة وأبوه فى الجنة وأمه فى الجنة وأخوه فى الجنة وعمه فى الجنة وعمته فى الجنة وخاله فى الجنة وخالته فى الجنة ثم قال أيها الناس انه لم يعط أحد من ورثة الانبياء الماضين ماأعطى الحسين بن على خلا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ياأيها الناس إن الفضل و الشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل . وكان معه فى ذلك الموقف نيف وثمانون نفسا وكان معه أربعون فارساً ومائة راجل وأعداؤه عشرون ألفاً فثبت ثباتاً باهراً وقاتل قتالا لم يسمع بمثله وقتل عدداً كثيرا من ابطالهم وشجعانهم ثم قتل رحمه الله تعالى ورضى عنه وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا وقيل إحدى وعشرون قال الحسن البصرى ما كان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه. وكان موته فى يوم عاشوراء عام احدى وستين ، أخرج أبو الشيخ

عن يعقوب بن عثمان قال كنت فى ضيعتى فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة ثم ذكروا الحسين فقال رجل ما أعان على قتله أحد الا أصابه قبل أن يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال أنا ممن شهده وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه قال فأطفيء السراج فقام ليصلحه فأخذته النار فجعل ينادى النار والقى نفسه فى الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات . وقال السدى أنا والله رأيته كأنه حممة وأخرج منصور بن عمار عن أبى محمد الهلالى قال اشترك منا رجلان فى قتل الحسين فابتلى أحدهما بالعطش فكان لو شرب راوية ماروى وابتلى الآخر بطول ذكره فكان إذا ركب الفرس يلويه على عنقه كأنه حبل . ونقل سبط ابن الجوزى عن الواقدى عن ابن الرماح قال كان بالكوفه شيخ اعمى قد شهد قتل الحسين فسألناه عن ذهاب بصره فقال كنت فى القوم وكنا عشرة غير انى لم أضرب بسيف ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين رجعت الى منزلى وأنا صحيح وعيناى كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلة فأتانى آت فى منامى فقال أجب رسول الله صلى عليه وسلم فقلت مالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذنى وانطلق بى الى مكان فيه جماعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حاسر عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع واذا اصحابه العشرة مذبوحون بين يديه فسلمت عليه فقال لاسلم الله عليك ولاحياك ياعدوالله الملعون أما استحييت منى تهتك حرمتى وتقتل عشيرتى ولم ترع حقى قلت يارسول الله ماقاتلت قال نعم ولكنك كثرت السواد واذا بطست عن يمينه فيه دم الحسين فقال اقعد فجثوت بين يديه فاخذ مرودا احماه ثم كحل به عينى فاصبحت أعمى كما ترون.

وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الاصبغ قال لما جيء برأس الحسين وأصحابه الى الكوفة اذا بفارس من أحسن الناس وجها قد علق فى لبب فرسه رأس غلام كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح فاذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالارض فقلت له رأس من هذا قال رأس العباس بن على قلت وانت من ؟ قال حرملة بن الكاهن الاسدى قال فلبثت اياما واذا بحرملة ووجهه أسود من النار فقلت رأيتك يوم حملت الرأس وما فى العرب انضر وجها منك وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجها منك فبكى وقال منذ حملت الرأس الى اليوم ماتمر على ليلة الا واثنان ياخذان بضبعى ثم ينتهيان بى الى نار تأجج فيدفعانى فيها

وأنا انكص فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حال . والعباس هذا قتل مع الحسين هو وشقيقه عثمان وجعفر وعبد الله أمه أم البنين بنت حزام بن خالد الوحيدية ثم الكلابية وقتل معه أيضا أبو بكر بن على أمه ليلى بنت معود بن خالد النهشلي ومحمد بن على قتل معه ايضا امه أم ولد

وبيان القضية ان المختار بن أبي عبيد تبعته طائفة من الشيعة وقتل من شهد قتل الحسين باقبح القتلات ولم يبق واحد من الستة الاف الذين قاتلوا الحسين مع عمر بن سعد بن أبي وقاص وقتل عمر بن سعد وخص شمر بن ذي الجوشن بمزيد نكال واوطئت الخيل صدره وظهره وذلك ان شمر هذا قبحه الله هو الذى تولى قتل الحسين وجرأهم على ذلك وذلك أن عمر بن سعد كان عاملا لابن زياد فوجهه ابن زياد لقتال الحسين ومعه ستة الاف فبعث عمر للحسين يطلب الاجتماع به فى خلوة لكراهية قتاله فاجتمعا فقال عمر ماجاء بك فقال أهل الكوفة فقال اما عرفت ما فعلوا معكم فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له فقال فما ترى الآن قال دعونى أرجع فاقيم بمكة أو آتى المدينة أو اقيم ببعض الثغور فقال أكتب الى ابن زياد فكتب اليه فهم باجابته لذلك فقال شمر بن ذى الجوشن الكلام لا يقبل منه حتى ينزل على حكمك فقال ابن زياد نعم ما رأيت وكتب الى ابن سعد انى لم ابعثك لتكون شفيعا عندى فان نزل على حكمى ووضع يده فى يدى فابعث به الى وان أبى فاقتله واصحابه وأوطىء الخيل صدره وظهره ومثل به وان ابيت فاعتزل علمنا وسلمه إلى شمر بن ذى الجوشن ودفع الكتاب الى شمر وقال ان فعل ما آمر به وإلا اضرب عنقه وانت الامير على الناس فلما وصل شمر قال له ابن سعد لااهلا بك والله ولاسهلا يا ابرص لقد رددته عما كان فى عزمه وبعث الى الحسين فاخبره فقال والله لاوضعت يدى فى يد ابن مرجانة أبدا فقاتلوه وناداه شمر الساعة ترى الهاوية فقال الحسين الله أكبر أخبرنى جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأن كلبا ابقع ولغ فى دماء أهل بيتى وما اخالك الا اياه ثم ان سنان بن أنس النخعى وشمر بن ذى الجوشن اشتركا فى قتل الحسين وكان شمر ابرص فاما سنان فجاء الى ابن زياد وقال

أوقر ركابى فضة وذهبا ٭ انى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا ٭ وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال حيث علمته كذلك فلم قتلته ؟ واما شمر ففعل به المختار ما سبق وقد شكر الناس أولا للمختار انتصاره لاهل البيت لكنه انبأ فى الآخير عن خبث وكذب على أهل البيت فزعم أنه يوحى اليه ، وكان على بن الحسين يلعنه ويقول كذب على الله وعلينا . واليه تنسب الطائفة الكيسانية فانه كان يلقب بكيسان وكان يزعم ان محمد بن الحنفية هو المهدى وكان سليمان بن صرد وهو من الصحابة ممن كاتب الحسين فى القدوم الى الكوفة فيما ذكره ابن عبد البر ثم انه لم يقاتل معه فندم هو ومن معه بعد موت الحسين على خلافه وقالوا ما لنا توبة الا ان نقتل انفسنا فى الطلب بدمه فخرجوا الى الشام وولوا أمرهم سليمان بن صرد وسموه أمير التوابين وانما قصدوا الشام لان ابن زياد الآمر بقتل الحسين لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة الى الشام فانتهى الى مروان بن الحكم فخرج اليهم ابن زياد المذكور فى ثلاثين الفا وكان أصحاب سليمان اربعة آلاف فاقتتلوا اياما ثم التقوا يوما فكان النصر لسليمان فى أول النهار ولابن زياد فى آخره ثم قتل سليمان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وافترقوا ثم مات مروان ثم نزل ابن زياد الموصل فى ثلاثين الفا فجهز اليه المختار ابراهيم بن الاشتر فى صائفة سنة تسع وستين فالتقى بابن زياد فقتل ابن زياد على الفرات فى يوم عاشوراء وكان من غرق من أصحابه اكثر ممن قتل وبعث الاشتر برأس ابن زياد مع رؤوس أصحابه الى المختار فالقيت فى موضع رأس الحسين وأصحابه ونصب رأس ابن زياد فى المكان الذى نصب فيه رأس الحسين ثم ألقاها فى اليوم الثانى فى الرحبة وروى الترمذى عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جيء برؤوس عبد الله بن زياد وأصحابه نصبت فى المسجد فانتهيت والناس يقولون قد جاءت فاذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت فى منخر عبد الله بن زياد ثم مكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا وروى الحافظ محمد بن اسحق بن منده عن عبد الملك بن عمير قال لقد رأيت فى هذا القصر عجبا ، يعنى قصر الامارة بالكوفة ، دخلت على عبد الله بن زياد وهو على سرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس الحسين ثم دخلت على المختار فى ذلك السرير والناس عنده سماطان

وعلى يمينه ترس عليه رأس عبد الله بن زياد ثم دخلت على مصعب بن الزبير في ذلك الموضع على ذلك السرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس المختار ثم دخلت على عبد الملك بن مروان في ذلك الموضع على ذلك السرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس مصعب. هذا بعض ما حصل لهم في الدنيا وأما ما يحصل لهم في الآخرة من اليم عذابه وعظيم عقابه مالا يحويه ولا يحصيه فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه

لا بد أن ترد القيامة فاطم ✲ وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ✲ والصور في يوم القيامة ينفخ

قال السمهودي وهو شاهد لما اخرجه ابن الاخضر في العترة الطاهرة من حديث على الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه على بن أبي طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتى فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدى فيحكم لابنتى ورب الكعبة وعن محمد بن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة مكتوب عليه بالسريانية فنقلوه للعربية فاذا هو

اترجو أمة قتلت حسينا ✲ شفاعة جده يوم الحساب

واخرج ابن الجراح من طريق أبي لهيعة عن أبي قتيل قال لما قتل الحسين بعث برأسه الى يزيد فنزلوا أول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطرا بدم (أترجو امة قتلت حسينا الخ) البيت المتقدم فهربوا وتركوا الرأس.

الفصل الثالث في نشأة نجله البدر المنير

وتربيته بأتم أدب وأوفى توقير وقيام وزرائه به من بعده الى استكمال قيامه باعباء الخلافة وبيعته واستكمال متابعة أبيه في علومه وتعرفاته وسننه

في المطرب الانيس قال محمد بن عبد الملك الوراق في كتابه المقباس والبكرى

والبرنسى وغيرهم ممن اعتنى بتاريخ الادارسة ان الامام ادريس بن عبد الله لما توفى لم يترك ولدا مولودا الا انه ترك جارية من البربر اسمها كنزة حاملا منه فى الشهر السابع من حملها فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن مولانا ادريس فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنيزة وهى فى الشهر السابع من حملها وقال لهم فان رأيتم أن تصبروا حتى تضع حملها فان كان ذكرا ربيناه فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرتم لانفسكم من ترضونه لذلك قالوا أيها الشيخ المبارك مالنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان مولانا ادريس وتصلى بنا وتحكم بيننا بما يقتضيه الكتاب والسنة حتى تضع الجارية فان وضعت غلاما ربيناه وبايعناه وان وضعت جارية نظرنا فى أمرنا على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعالهم وانصرفوا فقام بأمر البربر حتى تمت للجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كانه لم يمت فسماه ادريس باسم أبيه وقام بأمره وأمر البرابرة وكفله حتى فطم وشب وادبه أحسن أدب واقراه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام ثم علمه العلم كما يأتى قلت فى هذا دليل على نصح راشد رضى الله عنه للامة ولذرية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته فجزاه الله أحسن الجزاء

وولد سيدنا ادريس رضى الله عنه فى يوم الاثنين من شهر رجب الفرد الحرام عام سبعة وسبعين وماية وكانت صفته الخلقية صفة والده رضى الله عنه كانه هو. قال فى الانيس كانت صفة ادريس بن ادريس كصفة أبيه كان أبيض اللون مشربا بحمرة تام القد جميل الوجه اقنى الانف مليح العينين واسع المنكبين شثن الكفين أفلج أبلج أدعج فصيحا بليغا أديبا عالما بكتاب الله قائما بحدود الله راويا للحديث عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الاحكام ورعا تقيا جوادا كريما حازما بطلا شجاعا شهما مقداما له عقل راجح وذهن راشح واقدام فى مهمات الامور اه (البياض المشرب بحمرة هو الذى مازجته

الحمرة وهو لون جده صلى الله عليه وسلم كما سبق والدعج شدة سواد العين مع سعتها والقنا ارتفاع قصبة الانف مع احديداب فى وسطه والقد القامة والبهجة الحسن والاستواء الاعتدال والبلج عرف ما بين الحاجبين من الشعر والفلج فى الاسنان انفراج ما بين الثنايا وهو من أوصاف الملاحة وأسباب الفصاحة والمحيا الوجه والصولة القوة والتمكن والاعتلاء والظهور)

ومن شجاعته رضى الله عنه ماذكر فى روض القرطاس قال داود بن القاسم ابن عبد الله بن جعفر الاوربى شهدت ادريس بن ادريس رضى الله عنه فى بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل مولانا ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال فقاتلناهم قتالا شديدا فكان مولانا ادريس يضرب فى الجانب مرة ثم يكر الى الجانب الثانى فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع إلى رايته ووقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه فطفقت انظر له وادبم الالتفات اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فاعجبنى ما رأيت من شجاعته وقوة جاشه فالتفت الى وقال ياداود مالى أراك تديم النظر الى فقلت أيها الامام أعجبنى منك خصال ما رأيتها لغيرك قال ما هى ياداود قلت أولها ما رأيت من حسنك وجمالك وثبات قلبك وطلاقة وجهك وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك قال ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وراثة عن أبينا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قلت واراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا اطلب قليل الريق فى فمى فلا أجده قال ياداود ذلك لاجتماع عقلى وقوة جاشى عند الحرب وعدم ريقك من طيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب قال داود فقلت أيها الامير وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك وقلة قرارك فى منامك قال ذلك ظنى (كذا) زعم إلى القتال وعزم صداقة وهو أحسن فى الحرب ثم أنشأ يقول

أليس أبونا هاشم شد أزره ☆ وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ☆ ولا نشتكى مما يؤول الى النصب

فتعجب الناظر إليه رضى الله عنه من طلاقته وبشره وعدم تغير حسنه وتأثر جماله عند محاربة أعدائه وقتالهم قبل ظهور امارات الفتح وبشائر الظفر

وانه لخليق بالتعجب فان ذلك من المواطن التى تتقبض فيها النفوس وتشمئز القلوب وتضيق الصدور وتبدل الاخلاق لا سيما رئيس القوم وكبير الجيش الذى عليه المدار وإليه الملجأ والفرار ومن ثم أجاب رضى الله عنه بأن ذلك ليس من طرق البشر ومما يتعارفه الناس أهل القوى والقدر وإنما هو مدد جاء من حضرة الرسالة وهو معنى قوله ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم وما أجاب به فى مسئلة الريق هو عين الحق فقد قال السهيلى فى الروض قلة الريق من الحصر وهو ضيق الصدر وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش قال العلامة ابن زكرى فى شرح همزيته مانصه ولما تمهر مولانا ادريس فى العلوم وبلغ احدى عشرة سنة وبلغ فى هذا السن مبلغ الرجال تأهل بذلك للخلافة واستوفى فيها الشروط قال البكرى والبرنسى وغيرهما لما كمل لادريس من العمر احدى عشرة سنة ظهر من ذكائه ونبله وعقله وفصاحته ما اذهل عقول الخاصة والعامة فاخذله راشد البيعة على سائر البرابر ثم لما توفى راشد باشر ادريس القضاء والفصل بين الناس بنفسه وقام بأمور باقى الاحكام والشرائع حتى قدم اليه عامر بن سعيد القيسى فاستقضاه كما يأتى وكان لما بويع قام باشراط البيعة وصعد المنبر وخطب فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوكل عليه . وأعوذ به من شر نفسى ومن شر كل ذى شر . واشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً رسوله . المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه سراجا منيرا . صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . ايها الناس أنا الذى قد وليت هذا الامر . الذى يضاعف للمحسنين فيه الاجر . وللمسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمد الاعناق الى غيرنا . فان الذى تطلبونه من الحق انما تجدونه عندنا . فمن تامل هذه الخطبة واعطاها حقها من النظر ظهر له من فصاحة الامام ادريس وبلاغته ومعرفته بطرق الوعد والوعيد وقصده النصح للامة وذكر الامر والنهى وايثاره رضى الله على هوى النفس ما يبهر العقول ويحير ألباب الفحول هذا كله وهو ابن احدى عشرة سنة وأشار بقوله ولينا الى أنه لا رغبة له فى ذلك ولا شره منه اليه وأشار بقوله الذى يضاعف الخ الى ما ورد فى

الاحاديث من ثواب أئمة العدل ومضاعفة أجورهم لما يقومون به من حفظ الامة وكف شر الفتنة عنهم واعانتهم على المصالح الدينية والدنيوية ومن وزر أهل الجور ومضاعفة العقوبة لهم لما يترتب على جورهم من المفاسد الدينية والدنيوية فى حق الخاصة والعامة والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة وأشار بقوله ونحن الخ الى تطييب نفوس المؤمنين وادخال السرور عليهم بتعريفهم بقصده وطويته أنه لم يضمر لهم الا الخير ولم يسع لهم إلا فى الصلاح ثم عن التشوق إلى الغير لئلا تفترق كلمتهم ويختل أمرهم وليكونوا من المؤثرين لذرية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحقون رضاه ووجه رجحان التمسك بهم والاهتداء بهديهم بقوله فان الذى تطلبونه من الحق الخ قال ذلك لما علمه من نفسه من التصميم على المبالغة فى النصح للخلق والعزم على بذل السعى لهم فى المصالح مع ما عنده من العلم بذلك وقد سبقه إلى مثل هذه المقالة والده فانه لما بويع بالمغرب خطب الناس وقد قال أيها الناس لا تمد الاعناق إلى غيرنا فان الذى تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم قال ذكر غير واحد أن راشداً لم يمت حتى أخذ البيعة للامام مولانا إدريس بالمغرب وأن الامام مولانا ادريس لما كمل له من العمر إحدى عشرة سنة ظهر من ذكائه ونبله وقوة جأشه وثبات جنانه على صغر سنه فتسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل أهل المغرب فاتصل خبره بابراهيم ابن الاغلب عامل افريقية فحاول قتل راشد وذلك سنة ثمان وثمانين ومائة فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد بن يزيد بن الياس العبدى فأخذله البيعة على جميع قبائل البربر بعد قتل راشد بعشرين يوما وسار رضى الله عنه بسيرة سلفه الصالح بنشر العدل واظهار الحق والتزام الاستبانة وأقام السنة ونصر الشريعة والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين وأعلى منار الدين وشهر شرائع الاسلام فاستقام أمره وتمهد له الملك وعظم سلطانه وقويت جنوده واتباعه ووفدت عليه الوفود من البلدان وقصده الناس من كل ناحية ومكان فاقام بقية سنة ثمان وثمانين التى بويع فيها يعطى الاموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والاشياخ وفى سنة تسع وثمانين ومائة وفد عليه وفود العرب من افريقية وبلاد الاندلس فى نحو خمسمائة فارس فسر بوفادتهم واجزل صلاتهم ورفع منازلهم واستوزر

منهم عمير بن مصعب الازدى وكان من فرسان العرب وساداتها ولمصعب آثار عظيمة فى الاندلس ومشاهد فى غزو الروم كثيرة واستقضى منهم عامر بن سعيد بن محمد القيسى وكان رجلا صالحا ورعا سمع مالكا وسفيان الثورى وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدوة فوفد منها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ولم تزل الوفود ترد عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق وفى سنة اثنين وتسعين ومائة وفد عليه جماعة من الفرس من العراق فأنزلهم بناحية عين علون وكانت اذ ذاك أرضا ذات ماء وكلخ وبسباس وأشجار برية وكان بها عبد اسود يقطع الطريق هنالك قبل بناء مدينة فاس وكان الناس يتحامونها ولا يمرون بها ولا يسلكونها من أجل علون المذكور والتفاف الاشجار وهدير المياه والانهار وكثرة الوحوش المؤذية فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ولا يسلكها إلا الجماعة من الناس فعرف الامام مولانا ادريس بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة الاندلس فأمر بالقبض عليه فخرجت الخيل فى طلبه فقبض عليه فأتى به اليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة هنالك كانت على رأس العين وكان رضى الله عنه ملازما للحق فى تصرفاته جاريا على قانون الشريعة فى أحكامه لا يعدل عن الحق ولا ينحرف عن السنة فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء وأمنوا الجور فكان يأخذ الجزية وزكاة الاموال على منهاج الحق ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه وكانت تأتيه الغنائم فى غزوات أصحابه فيقسم الاربعة الاخماس على المجاهدين ويصرف الخمس فى مصارفه . وفى عام سبع وتسعين ومائة خرج إلى بلد نفيس وبلد المصامدة فوصل اليهما فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح بلاد سائر المصامدة وأسلم على يديه خلق كثير كانت بقيت بعد أبيه اخترمته المنية قبل أن يصل اليها وحصلت له منها غنائم كثيرة ففرقها ولا أبقى منها قليلا ولا كثيرا الا قدر الكفاف لاهله وقد تقدم قوله أن الذى تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا (تنبيه) تقدم أن قاضيه كان ممن قرأ على مالك بن أنس وسفيان الثورى فالظاهر أنه كان على مذهب أحدهما ويحتمل أنه كان على مذهب الاوزاعى لقول القاضى عياض فى المدارك ان أهل المغرب والاندلس كانوا قبل أن يصل اليهم مذهب مالك على مذهب الاوزاعى

ورأى الكفيين فلما أتى أصحاب مالك بمذهبه رفع ذلك من المغرب اه ويحتمل أنه كان مجتهدا مستقلا لم يتقيد بمذهب احدهما وكان كذلك جماعة من الاكابر ثم بعد ذلك وقع التقييد بالمذاهب

ثم انه رضى الله عنه بعد ان غزا ما لم يصله ابوه من بلدان المغرب وعمرانه واسلم بدعوته من بقي من اهل الشرك بالمغرب ولا بقي الا من رضى بذمة المسلمين واداء الجزية لهم نشر العلوم واوضح الحق ببيان الشريعة والحقيقة ومهد الجمع بينهما حتى عرفت أصول الدين وفروعه وتبين كلام الايمان على ماهو عليه فثبت الدين فى المغرب وتقرر وصارت شجرته فيه أصلها ثابت وفرعها فى السماء فعلم ببركته أهل المغرب بعد أن جهلوا وعملوا بعد ماضيعوا وأقبلوا بعد ما اعرضوا واتصلوا بعد ما انفصلوا وقربوا بعد ما انقطعوا واستأنسوا بعد ما استوحشوا وعزوا بعد ماذلوا وغلوا بعد ما رخصوا وعلوا بعد ماسفلوا فسبحان من أحيا به وبأبيه بعد الموت وتداركهم ببركاتهما قبل الفوت. ولما تمهد ملك مولانا ادريس بن مولانا ادريس جدد من معالم الدين مابلى وأظهر ماخفي وأحضر ما غاب وغبر واحيا ما درس واندثر فكان رضى الله عنه بشارة جده صلى الله عليه وسلم فى قوله لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله أو الى قيام الساعة وهم بالمغرب أو المغرب على اختلاف رواياته كما سيأتى ولا ظهر حصول هذه المزية العظمى الا بعد وروده رضى الله عنه أرض المغرب ومن يوم سطع نوره بالمغرب لايزيد الدين به إلا ظهورا واتضاحاً فصار بحلوله شمساً مشرقة وغرب منه به سائر غياهب الجهل والضـــلالات لشروق الدين والعبادات قال العلامة ابن زكرى فى شرح قوله من همزيته

زال من غربنا غروبه لما ✲ أشرقت فيه منـــكم الاضواء

مانصه انما سمى الغرب غرباً ومغرباً لأن الشمس تغرب فى ناحيته وجهته كما قال سيدنا كعب الاحبار رضى الله عنه مخبرا بذلك ابن عباس لما سأله عن مغرب الشمس قال أجـــدها تغرب فى ماء وطين بالمغرب وسمى الشرق شرقاً ومشرقاً لأن الشمس تشرق من ناحيته وجهته ولذا قال الشاعر :

في الشرق من أجل الشروق مسرة ✲ وفى الغرب من أجل الغروب كروب

ولما كان المغرب في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين مملوءاً كفراً ومعموراً جهلا لم يدخله الايمان ولم يبلغ الفتح كان كأنه قد غرب وفقد واضمحل بالغروب المعنوى الذى هو غيبة شمس الايمان والمعرفة وهو أقوى من الحس فلما من الله على أهله بقدوم مولانا ادريس رضى الله عنه ونفعنا به آمين ففتحه ودعا أهله إلى الله وهداهم الله على يديه وببركته زال عنه ذلك الغروب والفقر فاحياه الله بالايمان وفتح بصائر أهله وأشرق فيهم شموس المعارف والعلوم كما سيأتى فتبدل غروبه بالشروق وخفاؤه بالظهور ونكارته بالمعرفة وذلك مدد منه صلى الله عليه وسلم وفيض من بحر فضله واشراق من عظيم نوره وبين الغرب والغروب التجنيس الناقص وبين الغروب والاشراق الطباق ثم قال

لاغرابة أن هذا الغرب شرقا (١) ❊ لشموس المعانى فيـــه ضياء

ولما قدم مولانا ادريس رضى الله عنه المغرب ودعا اهله الى الله وارشدهم الى دينه فاستجابوا له وحبب الله لهم الايمان على يده خرجت ظلمة الكفر واشرق فيه نور الايمان وتجلت شموس المعرفة فصار الغرب شرقا لشروق شمس المعانى بطلوعها فيه وعم شعاعها ولا غرابة فى ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكم من موضع عبد الله فيه بعد الاشراك وكم محل رحم الله اهله بعد الغضب وقربهم بعد البعد ورضى الله عنهم بعد السخط وفرج عنهم بعد الشدة ووصلهم بعد القطع وانظر مسجد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان موضعه مقبرة للمشركين فنبشها وجعل فيها مسجده ولا غرابة أيضا فى صيرورته شرقا بقدوم سيدنا ومولانا ادريس لشدة قربه من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بسنته وإرثه أياه فى الدعاء الى الله والدلالة عليه وبين غرابة وغرب التجنيس الناقص وبين غرب وشرق الطباق ثم قال أيضا

وفشا الحق فيه بعد اغتراب ❊ ولاهليه فيه كان البقاء

---

(١) كذا فى الاصل، وهو غير مستقيم . ولعل الصواب : « ليس بدعا ان عاد ذا الغرب شرقا » الا ان قول مؤلف الكتاب بعد أحد عشر سطرا « وبين غرابة وغرب التجنيس » يدل على ان أصل البيت كما هو هنا ، فتامل .

اشارة لما ذكر الشيخ زروق فى شرح الرسالة بالتعريف بالامام مالك رضى الله عنه حيث قال ويكفى فى ارجحيته كونه امام دار الهجرة فى خير القرون ومتبوع اهل المغرب الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة كما صح فى الحديث وإن اختلفت روايته اه وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال المناوى زاد فى رواية من أهل المغرب ه وما ذكر الشيخ زروق ظاهر من لفظ الحديث وقال صاحب المشارق فى قوله لا يزال أهل المغرب بعين الرواية التى ذكرت فى بعض طرق مسلم ذكر يعقوب بن شيبة عن يحى ابن المدينى قال المراد بالغرب الدلو وعنا الغرب لانهم أصحابها لا يستقى بها أحد غيرهم وفى حديث معاذ وهم أهل الشام والغرب المكان والشام غربى الحجاز وقال المراد أهل الحدة قال أهل اللغة يقال فى لسان فلان حدة. وزاد فى حديث أبى أمامة قال يارسول الله واين هم قال بيت المقدس قال ويمكن الجمع بين الاخبار بأن المراد قوم بيت المقدس وهى شامية ويستقون بالدلو وتكون لهم حدة فى قتال العدو. اه كلام ابن حجر وعلى حمل الشيخ زروق رضى الله عنه ونقله غير واحد واقره فهما طائفتان الطائفة التى فى الشام هم الذين يقتلون الدجال مع سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واليه الاشارة بما فى الحديث الاخير والذى نفسى بيده ليجدن ابن مريم فى أمتى — الحديث — والله تعالى أعلم. وهذه الطائفة الجليلة نفعنا الله بهم فى صحيفة سيدنا ادريس رضى الله عنه اذ سببه وصل الايمان واليقين وبين الضمير المجرور يعنى باعتبار معاده واغترابه التجنيس الناقص ثم قال أيضا:

أخصب الدين فيه من بعد جدب ❊ اذ غدا له من نداك ارتواء
وتمكن منه حتى انتفى أهـــ ❊ ل الابتداع وماتت الاهواء (كذا)

ذكر أهل العلم من فضائل المغرب ان الله حماه من فرق أهل المبتدعة كالمعتزلة والرافضة والجبرية وغيرهم وقد كان أهل المغرب على أديان مختلفة وآراء فاسدة فلما كانت ولاية يزيد بن معاوية ولى عقبة بن نافع الفهرى على بلاد المغرب فى سنة أثنين وستين من الهجرة وقد مضت من ولايته سنتان فاستفتح عقبة الى أن بلغ البحر الاعظم فى بلاد ماسة وأدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام

فقال له أصحابه على من تسلم ياولى الله فقال ان قوم يونس عليه السلام سلموا على وسلمت عليهم ولولا البحر لاريتكم اياهم فاسلم على يديه بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتد بعض من أسلم . ثم لما ولى الوليد بن عبد الملك بن مروان ولى موسى بن نصير على المغرب سنة اثنين وسبعين فسار حتى بلغ طنجة وسبته وجاز فيه بر الاندلس وافتتحه مع مولاه طارق بن زياد وأسلم على يديه بعض اهل المغرب وحين رجع عنه ارتد أيضا بعض من أسلم . قال الشيخ ابن أبى زياد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنى شرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده . أى مدة مولانا ادريس . وقال فى كتاب العبر ارتد أهل المغرب مرات الى أن طهرهم من ذلك موسى بن نصير ومولانا إدريس وفى بعض التواريخ أهل المغرب ارتدوا اثنى عشرة مرة الى أن فتح الله عليهم بقدوم ادريس فمن بركته تقرر اسلامهم وزاد خيرهم وغاض شرهم ه وكان عقبة بن نافع ولى أمر المغرب قبل ولاية يزيد قال فى الاستيعاب عقبة بن نافع ولد على عهد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصح له صحبة كان ابن خالة عمرو بن العاص ولاه عمرو بن العاص افريقية وهو على مصر فانتهى الى لواتة ومزانة فطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سبته فقتل وسبا وذلك سنة احدى وأربعين وافتتح فى سنة اثنن واربعين غدامس فقتل وسبا وافتتح سنة ثلاث وأربعين كورة من كور السودان وافتتح ودان وهى من حيز برقة من بلاد افريقيه وافتتح عامة البرابر وهو الذى اختط القيروان فنهض اليه عقبة فلم يعجبه فركب بالناس الى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الاشجار غيضة مأوى الوحوش والحيات فأمر بقطع ذلك واحراقه واختط القيروان وأقام بها ثلاث سنين وروى أنه لما وقف على القيروان قال يا أهل الوادى أنا (١) ان شاء الله فاظعنوا ثلاثا . قال الراوى فما رأينا حجرا ولاشجرا الا يخرج من تحته حية حتى هبطوا بطن الوادى ثم قال انزلوا بسم الله وقتل عقبة بن نافع سنه ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الاقصى قتله كسيلة بن محرم الاوربى وكان نصرانيا ثم قتل كسيلة فى ذلك العام قتله قيس بن زهير البلوى ويقولون أن عقبه بن نافع مستجاب الدعوة والله أعلم ه هذا ما يتعلق بعقبة بن نافع

(١) بياض فى الاصل

وأما موسى بن نصير فهو الامام الكبير فاتح الاندلس قال الامام ابن اسحق في كتابه مشارع الاشواق الى مصارع العشاق قال كان موسى بن نصير مهابا ذا رأى وحزم وشجاعة قال له سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ما كنت تفزع اليه عند الحرب قال الدعاء والصبر قال فأى الخيل رأيت أصبر قال الشقر قال أخبرنا عن الروم قال هم اسد فى حصونهم نساء فى مراكبهم ان رأوا فرصة انتهزوها فان رأوا غلبة فاوعال تذهب فى الجبال قال كيف قتالك للعدو قال ماهزمت لى راية قط ولا رد لى جمع ولانكب المسلمون منذ اقتحمت الاربعين إلى أن بلغت الثمانين ولما فتح الاندلس جرت لديهـا عجائب وأمور طويلة وانتهى الى آخر حصن من حصون الاندلس فاجتمع الروم لحربه فكانت بينهم وقعة مهولة وطال القتال وجال المسلمون جولة بالمدينة فأمر موسى بن نصير بسرادقه فكشف عن بناته وحرمه حتى يروه ويبرزن بين الصفوف حتى يراهن الناس ثم رفع يديه بالتضرع والبكاء فاطال فكسرت بين يديه اغماد السيوف وصدقوا اللقاء ففتح عليهم ثم قدموا الى مصر فى سنة خمس وتسعين وتوجه الى الوليد بن عبد الملك بما معه من السبى والغنائم وقال الليث بن سعد ان موسى بن نصير بعث ابنه مروان على جيش فاصاب من السبى مائة الف آخرا ولما افتتح الاندلس جاءه رجل فقال ابعث معى رجالا أدلك على كنز فبعث معه رجالا فقال لهم انزعوا ماهاهنا فنزعوا فسال عليهم من الياقوت والزبرجد ماسال قال الليث بن سعد ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب بنظم سلسلة الذهب باللؤلؤ والياقوت فكان الرجلان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفارس فيقسماها . ولما افتتح الاندلس رجع الى افريقية وله نيف وستون سنة وهو يجر الدنيـا بين يديه جرا أمر بالعجول (١) وقال الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة وفى ذلك مائدة سليمان قومت بمائة الف دينار . وذكر الطرطوشى فى سراج الملوك والقرطبى فى تاريخه ان طارقا مولى موسى بن نصير دخل الى الاندلس فى الف وسبعمائة رجل وكان هناك تدرس نائبا عن لدريق فقاتلهم ثلاثة ايام ثم كتب الى لدريق إن قوما وصلوا الينا ماأعلم من الأرض هم أم من السماء وقد قاتلناهم ولا طاقة لنا بهم

(١) كذا فى الاصل ، وبعده بياض قليل

فادركنا بنفسك فاتاه لذريق فى تسعين الف فارس فقاتلهم ثلاثة أيام واشتد بالمسلمين البلاء فقال لهم طارق انه لاملجأ لكم غير سيوفكم أين تذهبون وانتم فى وسط بلادهم والبحر من ورائكم محيط وانا فاعل بكم شيئا إما النصر واما الموت فقالوا ماهو قال اقصدوا طاغيتهم فاذا حملت فاحملوا باجمعكم ففعلوا ذلك فقتل لذريق وجمع كثير من أصحابه وهزمهم الله وتبعهم المسلمون ثلاثة ايام يقتلونهم قتلا ذريعا ولم يقتل من المسلمين إلا نفر يسير وبعث برأس لذريق الى سيدنا موسى بن نصير بافريقية فبعث به موسى الى الوليد بن عبد الملك بدمشق ثم سار طارق الى طليطلة ومغيث الرومى مولى الوليـــد إلى قرطبة ففتحوها ووجدوا ذخائر وأموالا لاتحصى منها مائدة سليمان عليه السلام قومت بمائة الف دينار لكثرة ماعليها من الجواهر ومن هنا يظهر أن قول الشيخ سيدى موسى الزياتى افتتح صحابى وتابعيان عقبة بن نافع وموسى بن نصير والامام ادريس لكن لم يستقر إسلام أهل المغرب الامن ادريس ه فيه نظر فان عقبة صحابى وكذا فى عده سيدنا ومولانا ادريس تابعيا فانه من تابع التابعين كما عند غيره وتقدم أن أباه كان من صغار التابعين وروى عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم رحمه الله تعالى أنه كانت افريقيه من طرابلس إلى طنجه ظلا واحدا وقرى متصلة عامرة فخربت وقال الامام العلامه التوزرى سمعت من يقول انه كان بافريقيه من القديم مائة الف حصن بين قصر ومدينة وان ملكها كان اذا أراد الغزو بعث الى كل حصن فيأتيه منه فارس ودينار فجمع له مائة الف فارس ومائه الف دينار لا ينقص من بلاد شىء ثم قال من تأمل آثار المدن والقصور الخربة بافريقيه وتدانى بعضها من بعض رأى ذلك مايقضى منه العجب ويستدل منه على كثرة عمارتها فيما سلف

وفى المعيار سئل القاضى عن العاقلة الذين يؤدون فأجاب هم العصبة ومن يقرب منها الاقرب فالاقرب الى أن قال وما ذكر أيكون فى أهل الكورة الواحدة وافريقية كورة واحدة من طرابلس الى طنجة وفى تكميل التقييد قال سحنون فى افريقية يضم عقل أهل افريقية بعضهم الى بعض من طرابلس الى طنجة قال وفى بعض نسخ اللخمى طنجة مكان طنبة وفى المدونة ومن غاب عن البكر غيبة انقطاع كمن خرج الى المغازى الى مثل افريقية والاندلس وطنجة

قال عليه فى تكميل التقييد طنجة كانت قاعدة المغرب الاقصى فى زمن مالك وابن القاسم فقيل انها طنجة المعروفة اليوم بهذا الاسم وقيل انها مدينة وليلى التى تعرف اليوم بقصر فرعون عند جبل زرهون اه. والجدب بالدال المهملة ضد الخصب بكسر الخاء المعجمة بينهما الطباق والمعنى أنه لما قدم المغرب سيدنا ادريس رضى الله عنه استقام الدين فيه ببركته وأخصب أي قوى ظهوره فما زال يدعو أهله الى الله تعالى حتى تمكن غاية التمكن وثبت كل الثبوت وأمات طرق الابتداع والضلال والحمد لله على ذلك .

الفصل الرابع

فى بناء مدينة فاس والسبب الحامل له على بنائها

وذلك أنه لما تمهد ملك مولانا ادريس وكثرت عليه الوفود وعظمت جنوده وقوى جيشه وضاقت بهم مدينة وليلى عزم على الانتقال عنها وأراد أن يبنى مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته فركب فى خاصته وخرج يتخير البقاع فى سنة تسعين ومائة فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاختط مدينة بسنده مما يلى الجرف وشرع فى بنائها فبنى جزءاً من سورها فأتى سيل من أعلى الجبل فهدم ما كان بناه من السور المذكور وحمل ما كان حوله من خيام العرب وأفسد كثيراً من الزرع فلما رأى ذلك مولانا ادريس رفع يده من البناء وأقام الى أن دخل شهر المحرم مفتتح احدى وتسعين ومائة ثم خرج ينظر أيضا فيها فوصل الى وادى سبو فأعجبه موضعه فعزم على البناء هناك ثم نظر الى كثرة الماء الذى فيه فخاف على الناس منه فرجع الى وليلى وبعث وزيره عمير بن مصعب الازدى فنظر له موضعاً فخرج وسار فى جهات شتى يختبر الارض والمياه حتى وصل الى فحص واسائس فوجد خصة الارض واعتدالها وكثرة المياه فيها فأعجبه ذلك فنزل هنالك على عين غزيرة مطردة فى مروج مخضرة فتوضأ منها ومن معه وصلى صلاة الظهر حولها ثم دعا الله أن يهون عليه مطلبه وأن يدله على موضع يرتضيه لعباده ثم ركب وأمر قومه بأن ينتظروه عند تلك العين حتى يعود إليهم

فنسبت العين اليه وسميت بعين عمير الى الآن فرأى عيوناً كثيرة تزيد على ستين عنصاراً ومياهها تطرد فى فسيح الارض وحول العيون شجر من الطرفى والعرعار وغير ذلك فشرب من الماء واستطابه وقال هذا ماء عذب معتدل وهو أقل ضرراً وأكثر منفعة وحوله مزارع كثيرة ثم سار مع سيل الوادى حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين الجبلين فاذا غيطة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار فى بعض مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبنى يزغة فرجع عمير الى ادريس فأخبره بجميع ذلك فأعجبه وسأل عن مالك الارض فقيل له قوم من زواغة يعرفون بنى الخير فقال مولانا ادريس هـــذا فأل حسن فبعث إليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع فى بناء المدينة وقيل غير هذا وسياتى وجـــه تسميتها بفاس . قال فى الانيس لما أراد الشروع فى بنائها رفع يديه وقال اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعه ما ابقيتها ثم أخذ المعول بيده فابتدأ بحفر الاساس فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنة والجماعه بها قائمة قال وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهم فهى فى القديم دار فقه وعلم وحديث وعربية وفقهاؤها هم الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذلك كذلك على ممر الزمان ببركة بانيها مولانا ادريس رضى الله عنه وسكانها أحد أهل المغرب أذهانا وأشدهم فطنة وأرجحهم عقلا وألينهم قلوبا واكثرهم صدقة وأعزهم نفوسا والطفهم شمائل وأقلهم خلافا على الملوك وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم وكيف تقلبت الاحوال بهم يسمون على سائر بلاد المغرب علما وفقها ودينا

وذكر ابن الاغلب فى تاريخه أن الامام مولانا ادريس لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه فى آخر خطبته فقال : اللهم إنك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ابقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها إلى الخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الارزاق

وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق إنك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات وظهرت بها البركات فبلغ وسق القمح فى أيامهم درهمين ووسق الشعير درهما والقطنية لا تباع ولا تشترى والكبش بدرهم ونصف والبقرة بأربعة دراهم والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم واحد والفاكهة لا تباع ولا تشترى لكثرتها دام ذلك بها خمسين سنة وتقدم أنه قال للناس من أنشأ موضعا وغرسه قبل تمام السور فهوله هبة ابتغاء وجه الله تعالى فبنى الناس الدور وغرسوا الثمار وكثرت العمارة والخطة فكان الرجل يختط موضع منزله وبستانه ثم يقطع منه الخشب فيبنى به ولا يحتاج الى خشب غيره وغرس الناس جانب الوادى من اصله الذى يخرج منه بفحص أسايس إلى مصبه بنهر سبوا بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار فعمرت الارض بالغراسة والحراثة وأينعت الثمار وأطعمت الكروم والاشجار من سنتها ببركة مولانا إدريس وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته وبنيته الصالحة وطيب المنزلة وعذوبة المياه واعتدال الهواء فظهرت البركات وتوالت الخيرات وزادت العمارة وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات وأتاها من رغب فى جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم اه . ومن فضائل هذه المدينة دخول ماء نهرها وعيونها لمنازلها ودورها فينتفع بذلك أهلها ثم يخرج بالفضلات والقذورات فتبقى المدينة نقية طيبة الهواء والرائحة قال فى الانيس وماء نهر مدينة فاس أفضل أنهر الارض وأعذبها واخفها يخرج من عيون من أعلاها فى بسيط من الارض على الكرافس والسعداء من منبعه حتى ينحدر على المدينة فى مروج خضراء لا تزال كذلك صيفا وشتاء حتى يدخل البلد وينقسم فى داخلها على جداول كثيرة ومن فضائل هذا النهر أنه يفتت الحصا ويذهب الصنان لمن اغتسل به ويلين البشرة ويسرع الهضم ويشرب على الريق فلا يضر وذلك لأجل جريانه على الكرافس والسعداء فهو فى نهاية الخفة والعذوبة ومن فضائله ماذكره ابن حنون المتطبب أنه ينبه شهوة الجماع إذا شرب على الريق ومن فضائله أنه تغسل به الثياب بغير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا ورائحة طيبة ه والسعداء من جنس الديس يعلو من الارض نحو الذراعين فى أعلاه سنبلة

وأصله مستطيل منعقد مشتبك بعضه ببعض يدب تحت الارض اسود يميل الى الحمرة طيب الرائحة طعمه كطعم عروق الزنجبيل، وبين محل ويحل التجنيس الناقص وبين أمرو يمر التجنيس المضارع وقد انشد الفقيه الصالح الزاهد ابو الفضل ابن النحوى فى مدح مدينة فاس واوصافها ما نصه

يافاس منك جميع الحسن مسترق ✡ والساكنوك اهنيهم لقد رزقوا
هـــذا نسيمك أم راح لراحتنا ✡ وماؤك السلسبيل الصافى أم ورق
أرض تخللها الانهار داخلها ✡ حتى المجالس والاسواق والطرق

قال فى الانيس وكان الفقيه أبو الفضل ابن النحوى هذا من أهل العلم والدين والورع والفضل والصلاح ذكره صاحب الشفوف من اكابر رجال أهل المغرب ه وهو صاحب الحكاية المعروفة وذلك أنه لما أراد أن يسافر قال له أهله ما تركت لنا فكتب لهم رقعة وقال ان رجلا ياتيكم فادفعوا له الرقعة فانه يقوم بما تحتاجون اليه الى أن اقدم وكان الذى كتبه فى الرقعة ان الذى وجهت وجهى اليه هو الذى خلفت فى اهلى لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع من فضلى فلما كانت عشية النهار الذى سافر فيه اتاهم آت فقرع الباب وقال هاتوا البطاقة فاخرجوها اليه وكان ياتيهم كل يوم بما يحتاجون اليه الى أن قدم الشيخ رضى الله عنه فاخبروه فحمد الله واخبرهم بما كتب وكان رضى الله عنه من أهل الغيبة فى الصلاة فكان اذا كان فى غير الصلاة لا يستطيع أحد من أهله ان يتكلم كأن على رؤسهم الطير فاذا دخل فى صلاته ارتفعت الاصوات وكثر اللغط وهو لا يشعر بذلك وانشد الفقيه البارع الورع أبو عبد الله المغيسى فى وصف فاس متشوقا اليه حين ولى القضاء بمدينة أزمور

يافاس حيا الله أرضك من ثرى ✡ وسقاك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التى أربت على ✡ حمص لمنظرها البهى الاجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها ✡ ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت ✡ بجداول كالايم أو كالفيصل
وبجامع القروى شرف ذكره ✡ انسى بذكراه يهيج بمنزل
وبصحنه زمن المصيف محاسن ✡ فوق العشى الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا بها ✡ واكرع بها عنى فديتك وانهل

واحسن ما وجهت به تسميتها بفاس أن الامام ادريس لما عزم على بنائها ووقف موضعها مربها شيخ كبير راهب من رهبان النصارى قدزاد على مائة وخمسين سنة كان مترهبا في صومعة قريبة من تلك الجهة فوقف على مولانا ادريس وسلم عليه ثم قال أيها الامير ماتريد أن تصنع بين هذين الجبلين قال اريد أن اختط مدينة هنا يعبد الله تعالى بها و يتلى بها كتابه وتقام بها حدوده قال ايها الامير إن لك عندى بشرى قال وماهي أيها الراهب قال انه اخبرنى راهب كان قبلى فى هذا الدير له منذ توفى مائة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى سافا خربت منذ الف سنة وانه يجددها ويحيى آثارها و يقيم دارسها رجل من آل بيت النبوءة يسمى ادريس ويكون له شان عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة فقال مولانا ادريس الحمد لله انا ادريس وانا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا بانيها ان شاء الله تعالى فلما بناها قيل له كيف تسميها قال باسم المدينة التى كانت قبلها ساف ولكن اقلب اسمها الاول و نسميها بقلبه وسماها فاسا وكان تأسيس سيدنا ومولانا ادريس رضى الله عنه لمدينة فاس على ماذكره المؤرخون سنة اثنين وتسعين ومائة وأسس عدوة الاندلس منها وادار بها السور وبعدها بسنة أسس عدوة القرويين وذلك فى غرة ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة ولما فرغ من بناء المدينة وانتقل اليها بحلته واستوطنها واتخذها دار ملكه أقام بها الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج الى غزو نفيس و بلاد المصامدة ورجع الى فاس فاقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومائة فخرج منها برسم غزو قبائل نفزة فمار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر فى أحوالها واصلاح سورها وجامعها وصنع بها منبرا كتب عليه هذا ما أمر به ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم فى شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة فاقام ادريس بمدينة تلمسان واحوازها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها الى أن توفى رحمة الله عليه ورضوانه فى سنة عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منها هكذا فى بعض نسخ الانيس وفى بعضها وهو ابن ست وثلاثين سنة وهو الصواب لما مر أنه ولد سنة سبع وسبعين ومائة فأعوام ملكه ستة وعشرون عاما وأما قول البرشى توفى

ادريس بن ادريس بمدينة وليلى من بلد زرهون فى الثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومايتين وسنه يومئذ ثمانية وثلاثون عاما ودفن الى جانب قبر أبيه برابطة وليلى اه فهو غير صحيح أما اولا فلاتفاقهم على أنه ولد سنة سبع وسبعين فلا يصح أن يكون عمره ثمانية وثلاثين وأما ثانيا فلما ذكره العلامة الحافظ سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى من اتفاق أرباب البصائر والاذواق وإطباق العامة والخاصة على أنه بفاس كما لهجت به الالسنة وطارت به الرفاق فى الآفاق واذعنت به قلوب أهل الايمان لم يقع فيه اختلاف ولا شقاق فما يعرف لهم قط تنازع فى ذلك فمن قال بخلافه يجوز الوعيد بمقتضى قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الى قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهى مما تمسك به الشافعى رضى الله عنه فى ثبوت الاجماع وصحته والتواريخ والاخبار متفقة على أن الخاصة والعامة يتعبدون بزيارة ضريح مولانا ادريس بن ادريس بفاس وأبيه بزرهون ويتوسلون الى الله عند ضريحهم وقط ما وقع نزاع بينهم ولا مغير لذلك عليهم ولا مكذب به وذلك من أمر الدين فاتفاق الامة اجماع والامة لا تجتمع على ضلالة ونظير هذا القول الباطل قول السهيلى فى الروض الانف ان ادريس بن عبد الله توفى بافريقية فهو ايضا خلاف الاجماع وخلاف القطع باطل على كل حال ولا يعتد به على ظاهره لاحتمال أن يكون دس عليه بشهادة أن كتابه غير مروى ولا مقروء عليه بل ولا طالعه لفقده بصره قبل أن يؤلفه من قيده عنه فهو مطرح الالتفات اليه لا يقام فيه بمخاصمة الجميع ومنازعتهم واستخراج ما بأيديهم من المتحقق عندهم كيف وقد نقل أهل كل زمان عمن فيهم أنه توفى بفاس وأبوه بزرهون ودفنا هناك هذا مع قيام آثاره ومدينته الشهيرة شرقا وغربا لا ينكر نسبتها اليه أحد وتعدد الاجناس على ضريحه بتوالى السنين مكتوب اسمه فى رسومها منسوب اليه الضريح فى كل زمان وظهور البركات الكثيرة والاستنفاع بضريحه واجابة الدعاء عنده وظهور جسده المقدس هنالك وكذا جسد أبيه بزرهون كما يأتى وما أحسن قول القائل

منازل أهل الله آل رسوله ٭ فاحبب بهم أهلا واحبب بها مغنى
مدينة إدريس بن ادريس التى ٭ بها قبره آثاره قبر مبنى (كذا)

ووجد بخط الامام القصار رحمه الله مما أنشده بعض الادباء

ادريس نام بفاس كالعروس له ☆ قلب اذا نامت العينان لم ينم
احل بارئه فى حرز حرمته ☆ كالليث حل مع الاشبال فى اجم
يرد عنهم يد المؤذى بصولته ☆ رد الغيور يد الجانى عن الحرم

قال العلامة ابن زكرى وقد ذكر بعض أهل العلم أن مما يستدفع به الاذى عن أهل بلد فاس بقاء أثر شجاعته ونصرته لدين الله وقهره للاعداء بها وهو سيفه الذى بمنارة القرويين فقد تضمن وضعه هنالك اشارة جليلة الى الدفع عن أهلها ورد من رماها بسوء وفى هذا المعنى قال الفقيه الامام الربانى أبو عبد الله محمد بن سعيد الحياك رضى الله عنه

شهرة المشرفى فوق المنار ☆ عزة للورى ودين النبى
سيف ادريس محمد للاعادى ☆ وانتصار الملوك بالمشرفى

وأما الحياك هذا فمن أشياخ ابن غازى الذين أخذ عنهم واثنى عليهم الثناء الجميل وقصد بهذين البيتين رضى الله عنه رد قول مسعود بن أبى القاسم بن أبى طلاق

قالوا بجامع فاس سيف ادريسا . وكلهم قائل زورا وتلبيسا
ما جعله غير طلسم لساكنيها . لكى ينال بها الاحزان والبوسا

وانه لحقيق بالرد وخليق بالتزييف والابطال نعم ما تضمنه كلامه من ترادف الاحزان والبؤس على ساكن فاس له أصل وأساس وهو كثرة التوسعات الدنيوية بها فى الاطعمة والاشربة واللباس والابنية والمياه وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها من البلدان وبقدر ذلك يكون الغم وترادف الاحزان كما قال سيدى ابن عطاء الله فى الحكم ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فان مفهومه أن بقدر ما يفرح به الانسان يكون حزنه وبه قرره شراحه وهو هذا معنى قول القائل

فاس لعمرى هى الدنيا بأجمعها . لو لم يك القلب فيها ضيقا حرجا
من حل ساحتها لم ينج من كدر . كأنما همها بمائها مزجا

وكما زيف ذلك القول الامام الحياك زيفه الشيخ أبو زيد المكودى قال

قدم سيف المنار بفاس(؟) . هو طلسم ذلة وهوان
اخطأوا ليس ذاك الا لعز . بهرت منه سائر البلدان

وكذا رده أيضا الشيخ الفقيد الاستاذ النحوى المقرى أبو المكارم منديل

ابن آجروم رحمه الله تعالى فى قوله

شاموا بفاس سيف ادريسهم . فوق منار لا لامر مخوف
بل أشعروا بقول خير الورى . جنتكم تحت ظلال السيوف

وكذا الشيخ الفقيه الامام عبد الغفار البوخلفى بقوله

ذكرت ولم أكن للذكر ناس . عجائب سيف ادريس بفاس
فلم يك بالمنار سدى ولكن . ليدفع عن حماها كل باس

وكذا الشيخ المتفنن الفقيه النحوى أبو عبد الله محمد بن موسى بن ابرهيم الحاجرى بقوله

يقولون زجراً ان فاسا قضى لها . بذلتها سيف المنار المشيد
لقد أخطأوا فى زجرهم ضل سعيهم . هل العز إلا تحت ظل المهند

وما أحسن قول الفقيه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالربيب

سر فاس لأهل فاس بدا فى ٭ وضع ادريس بالمنار حسامه
فهم الغر للنداء فاورى ٭ ناره معلما وشال علامه

يشير الى اظهار العلام والفنار اللذين أحدثهما أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان فارس المدينى ونحو قول ابن آجروم قول الفقيه أحمد بن يحيى بن عبد المنان

انكر السيف بالمنار بفاس ٭ قائل ان ذاك داعى اغتنام
لا يرعك الحسام سل عليها ٭ جنة الخلد تحت ظل الحسام

وقال الشيخ الفقيه ادريس بن راشد الفهرى رحمه الله تعالى

سل ادريس بالمنار حساما ٭ منبئا ذاك عن شديد العقاب
داعياً للصلاة ان لم تجيبوا ٭ فحقيق الجزاء ضرب الرقاب

ونحو هذا قول الفقيه أبى الفضل محمد بن باشر التسولى

وليس ارتفاع فى المنار لكربة ٭ ولكنه كى يعلم الحق جاهله
احض على الخمس التى فاز أهلها ٭ ومن حاد عن عرفانها أنا قاتله

وقال أيضاً رحمه الله ورضى عنه

قل لمن أنكر الحسام بفاس ٭ ودعى الغم قول ذى تجريح
سيف إدريس بالمنار شهير ٭ شهرة الدين بالاذان الفصيح

وقال الأديب أبو عثمان سعيد السراتى شهر بشهبون رحمه الله تعالى

لادريس سيف أظهر الدين والهدى ٭ بأفق منار للاذان تقيدا
فمن ظن أن الذل أورثنا به ٭ فهل ذل الاظالم ضل واعتدى

ذكر هذه الاشعار فى كتاب فرائد الجمان الاديب أبو الوليد اسماعيل بن الاحمر رضى الله عنه وزاد عليها لكن ما اقتصرنا عليه هو زبدة ما ذكره. وسبب وضعه فى أعلى المنار أن الامير احمد بن أبى بكر الزناتى كان رجلا فاضلا صالحا من أهل الدين والورع اختصم اليه بعض حفدة الامام مولانا إدريس فى السيف المذكور وطلب كل واحد منهم أن يحوز السيف لنفسه وطال نزاعهم فيه فقال لهم الامير أحمد بن أبى بكر هل لكم أن تبيعوه منى وتتركوا النزاع فيه قالوا له وما تصنع به أيها الامير قال أجعله فى أعلى هذه الصومعة التى بنيت تبركا به فقالوا أيها الامير إن كنت تفعل هذا فخذه نهبه لك بطيب نفوسنا فوهبوه له فجعله فى أعلى المنار وكان ذلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

الدولة الثانية الغمارية

والبها أشار ابن خلدون فى العبر بقوله الخبر عن دولة الادارسة فى غمارة وتصاريف احوالهم

كان عمر بن ادريس عند قاسم بن محمد بن ادريس من أعمال المغرب بين إخوته برأى جدته كنيزة أم ادريس اختص منها بتجيساس ونزغة وبلاد صنهاجة وغمارة واختص القاسم بطنجة وسبته والبصرة وما إلى ذاك من بلاد غمارة ثم غلب عمر عليها عند ما تنكر له أخوه محمد واستضافها الى عمله كما ذكرنا فى أخبارهم ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك إلى عملهم الاول فملكوه واختص منهم محمد بن ابرهيم بن محمد بن القاسم بقلعة حجر النسر الداقية وجعل سبته معقلا لهم وثغرا لعملهم وبقية الامارة بفاس وأعمال المغرب فى ولد محمد بن إدريس ثم اداالوا منهم بولد عمر بن ادريس وكان أخوهم يحيى بن ادريس بن عمر وهو الذى بايع لعبد الله الشيعى على يد مصالة بن حبوس قائده وعقد له على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليها سنة ثلاث وعشرين فى بنى القاسم الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس وتلقب الحجاج لطعنه فى المحاجم وكان

مقداما شجاعا وثار أهل فاس بريحان وملكوا للحسن وزحفوا اليه موسى فقتله ومات واستولى ابن أبي العافية على فاس وأعمال المغرب وأجلى الادارسة وأخذ منهم حصنهم حجر النسر وانحرف الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان لغمارة فى التمسك بدعوتهم أباد ومقامات واستحدثوا بتلك الناحية ملكا فوزعوه قطعا كان أعظمها لبنى محمد هؤلاء ولبنى عمر بتكسان ونكور وبلاد الريف ثم سما الناصر بن عبد الرحمن الى ملك العدوة ومراجعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن سبتة سنة تسع وتناولها من بر الريف الرضى بن عاصم رئيس محكمة كان يقيم فيها دعوة الادارسة فأفرجوا له عنها ودانوا بطاعته واخذها من يده ولما غزا أبو القاسم ميسور الى المغرب لمحاربة ابن أبي العافية نقض طاعتهم ودعا المروانية ووجد بنو محمد السبيل الى الانتقام منه بمظاهرة ميسور عليه ووالى على ذلك بنو عمر صاحب نكور ولما اشتغل ابن أبي العافية نكسته ورجع الى الصحراء سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بنى محمد وبنى عمر وهلك بعد ذلك وأجاز الناصر بن محمد بن طماس سنة ثلاث وثلاثين وكتب الى ملوك مقراوه محمد بن ادريس بن عمر المعروف بابن شالة يدعوه الى الطاعة وأوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان وأوفد ابنه محمد بن أبي العيش موكداً للطاعة فاحتفل لقدومه وأكد له العقد ونصل سائر الادارسة من بنى محمد وسألوا مثل سؤالهم فعقد لجميع بنى محمد أيضا وكان بنو ادريس يرجعون فى رياستهم الى بنى محمد هؤلاء منذ استبدها وآخرهم الحسن بن محمد الملقب بالحجـاج فى ثورته على ابن أبي العافية فقدموا على أنفسهم القاسم بن محمد الملقب بكنون بعد فرار موسى بن أبي العافية وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيما لدعوة الشيعة الى أن هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام بأمرهم من بعده أبو العيش أحمد بن القاسم كنون وكان فقيها عالما بالايام والاخبار شجاعا ويعرف باحمد الفاضل وكان فيه ميل للمروانية فدعا للناصر وخطب له على منبر عمله ونقض طاعة الشيعة وبايعه أهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه أهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن أبي العيش بن ادريس ابن عمر بن شالة على الناصر عن أبيه سنة ثمان وثلاثين فاتصل به وفاة أبيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه وهم عيسى بن عمر بن أبي

العيش أحمد بن القاسم كنون على عمله بتكاهن فى غيبة محمد فملكها واحتوى على مال ابن شالة ولما أقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة إلى عيسى المذكور ابن كنون فظفروا به وأثخنوه جراحة وقتلوا أصحابه ببلاد غمارة

وأجاز الناصر قواده الى المغرب وكان أول من أجاز الى بنى محمد هؤلاء سنة ثمان وثلاثين احمد بن يعلى من طبقة القواد أجازه فى العساكر ودعاهم الى هدم تطاون فامتنعوا ثم انقادوا وشطوا وأجابوا الى هدمها ورجع عنهم فانقضوا فسرح إليهم حميد بن صليتى المكناسى فى العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا إليه بوادى راوا فوقع بهم فأذعنوا بعدها وتغلب الناصر ثم تخطت عساكر الناصر الى بسائط المغرب فأذعن له أهله وأخذ بدعوته فيه أمراء زناتة فى مقراوة وبنى يعرب ومكناسة كما ذكرنا ، فضعف أمر بنى محمد واستأذنه أميرهم أبو العيش فى الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور فى كل مرحلة من الجزيرة الى الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فأجاز أبو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن كنون وتلقاه الناصر بالمرة وأجرى له الف دينار فى كل يوم وهلك شهيداً فى مواقف الجهاد سنة ثلاث وأربعين وكان أخذ معه قائده جوهر ولما قفل من المغرب راجع الحسن الطاعة للناصر الى أن هلك سنة خمسين واستجد الحكم عزمه فى سد ثغور المغرب واحكام دعوتهم وشمر لها عزائم اموالهم من ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيرى وبلكين ما ذكرناه ثم أغزى معه بلكين بن زيرى المغرب سنة اثنتين وستين أولى غزواته فأثخن فى زناتة وأوغل فى ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة المروانية فلما انصرف بلكين أجاز الحاكم الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طلمس وخلف كثيراً من عسكره واوليائه ودخل قبلهم الى سبتة واستصرخوا الحكم فبعث غالبا مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة وأمر له بما يعينه على ذلك من الاموال والجنود وأمره باعتزال الأدارسة وإجازتهم اليه وقال له سر ياغالب مسير من لا اذن له فى الرجوع الا حيا منصوراً أو ميتا معزوزاً واتصل خبره بالحسن بن كنون فأفرج عن مدينة البصرة واحتمل منها أمواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب من سبتة ونزل غالب ببعض مصمودة فاتصلت الحرب بينهم أياماً ثم بث غالب المال فى رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود وفروا

واسلموا فانحجر بقلعة جبل النسر ونازل به غالباً وأمره الحاكم بعرب الدولة ورجال الثغور وأجازهم مع وزيره صاحب الثغر الاعلى يحي بن محمد بن ابراهيم الحسنى فمن معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين فاجتمع مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من خالد الأمان فعقد له واستلم الحصن من يده ثم عطف على من بقي من الادارسة فى بلاد الريف فأعجزهم وسيرهم مسيرة أسوة واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم وسار الى فاس فملكها واستعمل محمد بن على بن قشوس فى عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة الجزامى فى عدوة الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون وسائر ملوك الادارسة وقد مهد المغرب وحاله ومهد الشيعة وذلك سنة اربع وستين وتلقاهم الحاكم وركب الناس للقائهم وكان يوم دخولهم الى قرطبة أجمل أيام الدولة وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له بالعهد وأجزل له ولرجاله العطاء والخلع والجعلان وأوسع عليهم الجراية وأسنى لهم الارزاق ورتب من حاشيتهم فى الديوان سبعماية من أنجاد المغاربة وتجنى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من الحسن قطعة عنبر عظيمة تادت عليه من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه فأتخذ منها أريكة يرتفقها ويتوسدها فسأله حملها إليه على أن يحكمه فى رخاء فأبى عليه مع سعاية بنى عمه فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ، فنكبه واستقصى مالديه من قطعة العنبر وسواها واستقام المغرب وتضافر أمراؤه على مراجعة بلكين وعقد لوزيره جعفر على المغرب واسترجع يحي بن محمد بن هاشم وغرب الحسين بن كنون مع الادارسة جميعا الى المشرق استقلالا لنفقاتهم وشرط عليهم أن لا يعودوا وقصدوا البحر من المدينة سنة خمس وستين ونزلوا فى جوار العزيز معه بالقاهرة خير نزل وبالغ فى الكرامة ووعد بالنصرة والمبرة ثم بعث الحسن بن كنون الى المغرب وكتب له الى آل زيرى بن مناد بالقيروان بالمظاهرة فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث المنصور بن أبى عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وقبضوا عليه واستحضره الى الاندلس فقتل فى طريقه سنة ٣٣٠ كما ذكرناه فى اخبارهم وانقرض ملك الادارسة من المغرب أجمع الى ان كان رجوع الامر لبنى حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة كما نذكره

الدولة الثالثة السبتية

واليها أشار ابن خلدون فى العبر بقـــوله الخبر عن دولة بنى حمود من الادارسة ومواليهم بسبتة وطنجة وتصاريف أحوالهم وأحوال غمارة من بعدهم

كان الادارسة لما اجلاهم الحكم عن العدوة الى المشرق وسائر بلاد المغرب واستقامت غمارة على طاعة المروانية واذعنوا لجند الاولين ورجع الحسن ابن كنون لطلب أمرهم فهلك على يد المنصور بن عامر فانقرض أمرهم وافترق الادارسة فى القبائل ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا اشارة النسب واستحالت صبغتهم منه الى البداوة ولحق بالاندلس فى جملة البرابرة من ولد عمر ابن ادريس رجلان منهم وهما على والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن احمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فصار لهما ذكر فى الشجاعة والاقدام ، ولما كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقراض الدولة الغمارية ونصب البرابرة سليمان ابن الحكم ولقبوه المستعين اختص ابنى حمود هذين فاحسنا الغناء فى ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعلى بن حمود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ثم انقرض ودعا لنفسه وجاز الى الاندلس وولى الخلافة بقرطبة كما ذكرنا فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى ثم اجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك ابيه على منازعا لعمه القاسم واشتغل أخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر أعمال أبيه بل بالعدوة من مواطن غمارة ثم أجاز بعد مهلك أخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واسترشاده ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقية على الاستبداد بمالقه اجاز نجا الخادم لحسن بن يحيى من طنجة فملك مالقة ورتب أمره فى خلافته ورجع الى سبته وعقد لحسن على عملهم فى مواطن غمارة حتى اذا هلك حسن اجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد واستخلف على العمل من وثق به من الموالى الصقبية فلم يزل على نظرهم واحد بعد آخر الى ان استقل بسبتة وطنجة من موالى بنى حمود هؤلاء الحاجب سكون البرغواطى وكان عبدا للشيخ من مواليهم اشتراه من سبى برغواطه فى بعض ايام جهله ثم صار الى على بن حمود فاخذت النجابة

بضبعه الى ان استقل بامرهم واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة واطاعته قبائل غمارة واتصلت أيامه الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب ابن تاشفين سنة احدى وسبعين ودعا الحاجب سكون الى مظاهرته على مزواة بفاس ونجا الى بلاد الرملة من اخر بسيط المغرب مما يلى بلاد غمارة ونازلهم يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وأوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون غمارة من ورائه فانقاد المغرب لحربه ثم صرف وجهه الى سكون فجهز اليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح ابن عمران من رجال المعونة فتباشرت الرعايا بمقدمهم واثالوا عليهم وبلغ الخبر الى الحاجب سكون فاقسم ان لا يسمع أحدا من رعيته هدير طبولهم ولحق هو بمدينة طنجة ثغر عمله وقد كان عليه من قبله ابنه منبأ الدولة المعز وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكون وطحنته رحى المرابطين وسالت نفسه ضياءهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق ضياء الدولة بسبتة ولما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس وبعث ابن عباد صريخه الى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين مستنجزاً وعده فى جهاد الطاغية والذب عن المسلمين وكان أهل الاندلس كافة يستحثونه على الجهاد وبعث ابنه المعز سنة ست وسبعين فى عسكر المرابطين الى سبته فرمته المجاز فنازلها وأحاطت بها أساطيل ابن عباد واقتحموها عنوة وقبض على ضياء الدولة وفير بن المعز فطالبه بالمال بانجائه فاسا فقتله لوقته وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيى بن على ابن حمود وكتب الى أبيـــه بالفتح وانقرضت دولة بنى حمود وانمحى آثارهم وسلطانهم من بلاد غمارة وأقاموا فى طاعته لتوقت سائر أيامهم ولما نجم المهدى بالمغرب واستفحل أمر الموحدين بعد مهلة تنقل خليفة عبد المؤمن فى بلادهم فى غزوته الكبرى لفتح المغرب سنة سبع وثلاثين وما قبلها كما قيل قبل استيلائه على مراكش كما نذكره فى أخبارهم واتبعوا أثره ونزلوا بسبتة فى عساكره وامتنعت عليهم وتولى كبر امتناعها قائدها عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد لدينه وأبوته وعلمه ونصيحته ثم أصبحت بعد فتح مراكش سنة احدى وأربعين (بياض)

ولما فشل أمر بنى عبد المؤمن وذهب ريحه وكثر الثوار بالقاصية ثار فيهم محمد بن محمد الكتامى سنة خمس وعشرين كان أبوه من قصر كتامه مقبضا على الناس وكان ينتحل السيميا ولعله عن أبيه محمد هذا وكان يلقب أبا الطواجن

فارتحل الى باب سبتة ونزل على بنى سعيد وادعى صناعة الكيمياء فاتبعه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع شرائع واظهر انواعا من الشعبذة فكثر تابعوه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا اليه عهده وزحفت اليه عساكر سبتة ففر عنها وقتله بعض البرابرة غيلة ثم غلب بنو مرين على بسائط المغرب وأمصاره سنة أربعين وستماية واستولوا على كرسى الامر بمراكش سنة ثمان وستين فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم وأقاموا بمنجاة من الطاعة وعلى شبح من الخلاف وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بنى مرين بسبب امتناعهم وصار أمرها الى الشورى واستبد بها الفقيه أبو القاسم القرمى من مشيختها كما سنذكر ذلك كله الى أن وقع بين قبائل غمارة ورؤسائهم فتن وحروب ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بنى مرين فأتوها طواعية ودخل الآخرون فى طاعة ملوكهم طوعا أو كرها فملك بنو مرين أمرهم واستعملوا عليهم وتخطوا الى سبتة ورائهم فملكوا من الفريقين سنة سبع وعشرين وسبعماية على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الآن على أحسن أحوالهم من الاعتزاز والكثرة يأتون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ويمرضون فيها عند التياثها بقتل وشغب فتحضر البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا وان بوتورة جبالهم عز ومنعة وجوار لمن لحق بهم من عياض الملك الخوارج الى هذا العهد وذلك لاشراف جبلهم على سائرها وسمو قلاعه الى مجار السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيها وصاحب أمره يوسف بن عمر ولهم فيه عزة قد اتخذوا به المصانع والغروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء واقطعهم فى بسيط طنجة الضياع استئلافا لهم وحسما لخلافهم ولله الخلق والامر بيده ملكوت السموات والارض

الدولة الرابعة الاندلسية

فاعلم أن سبب ملك الادارسة لها هو أنه قام قائم على هاشم آخر ملك من ملوك بنى أمية بها وادعى ذلك القائم انه المهدى وصارت فتنة عظيمة ثم تولى سليمان بن الحكم بالاندلس على قبائل البربر الذين قطعوا الجزيرة مع موسى

ابن نصير فى بداية الامر واستوطنوا البلاد وحاصروا هاشما فى قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبتة وأحوازها وكان فيها وتملكها على بن حمود من الادارسة فقطع اليه من سبتة فى جموع من البربر وأغاثه، وهو على بن حمود بن ميمون بن على بن عبد الله بن عامر بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على، فقطع البحر لاغاثته وتبعه بعض أهل الجزيرة مع قوته ونزل على سليمان وهو محاصر لهاشم فى قرطبة فقبضه وقتله وقتل جموعه فادعى لنفسه على بن حمود وولى البيعة بالاندلس وكان فظا غليظا شجاعا شديد البأس وكانت له أخبار بالجزيرة ووقائع واختصرنا من حديث أخبار وقته الى أن انقضى أجله وسمته مملوكة من السقلب فمات فى ثمان واربعماية وولى الامر بعده أخوه القاسم ثم نازعه على بن يحي بن حمود وتملك قرطبة ثم قام المرتضى مع العامرى الناحية شرق الاندلس وتحركوا ونزلوا على غرناطة وكثر الهرج فى أخبار يطول ذكرها واختل أمر المسلمين وكان آخر الدولة المرتضى كان ممتنعا فى قصر البنات فرجع اليه الامر فى آخر عمره وهو شيخ فبايعه أهل قرطبة وجلس على سرير الملك وبعد ذلك خلعوه وذلك فى سنة عشرين وأربعماية والبقاء لله الواحد القهار

ولنذكر شيئا من محاسن قرطبة اذ كانت عروس ملك الدولة الاموية والادريسية قال فى المغرب كان فى الزمن القديم فى عهد سليمان عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام نزل بها ليلة مع عساكره وكانت أرضها مروجا تنبع بالماء فقال لهم سليمان قرطبوها بالحجارة وانزلوا فى هذه البقعة سيكون لها شأن عظيم فى آخر الزمان تخرج منها كلوم كثيرة فعند ذلك سميت قرطبة والجبل الذى عليها يسمى بالتاج ويندفق منه ماء معين فسميت قرطبة عروسة الاندلس والتاج عليها وبقربها معدن الزئبق ولا يوجد فى معمور الارض الا هناك وينجلب منها الى كل أرض ونذكر مسجدها الاكبر الذى بناه بنو أمية ولا استوفى بالبناء الا بعد خمس وعشرين سنة وقد بنى فيه اثناعشر خليفة من بنى أمية زاد فيه مجلس المنتصر بالله الحاكم لذكر الله وآخر بنائه محمد بن عامر وكان عدد بلاطاته ثمانية عشر وعدد سواريه الف سارية واربعماية وعدد ثرياته ثمانين ثريا ومصابيحه الف مصباح ويسلم فى الجامع أربعون الف مصل دون الصحن والصحن قدره ثلث الجامع وفيه منبر لم ير فى مشارق الارض ومغاربها مثله وله تسعة أدراج ونفق فيه من الاموال ثمانية عشر

ألف دينار دون الحديد والعاج والصندل والبقام والرنج واليابنون وغير ذلك ومساميره مفضضة ومذهبة وعدد الفقهاء وأهل الكراسى والاشياخ والمؤذنين والمدرسين ما ينيف على الماية والعشرين رجلا ومن أراد أن يطلع على حقيقة هذا المسجد وعلى ما يوقد فيه من الزيت وماله من الاحباس ومن الارض للحرث وما ذا يكفيه من الحصور وكيف هى الصومعة وعمودها وما له من الدرج من جهة أبواب القبلة وكيف هو المجلس وما فيه من الذهب والفضة والعاج والزجاج والمدارق فليطلب حقيقة أمر هذا المسجد فى كتاب الجغرافية وترى لقرطبة اخبارا يبكى عليها كل مسلم

الدولة الخامسة المهدرية

واليها أشار ابن خلدون فى العبر بقوله الخبر عن مبدأ أمر المهدى وما كان للموحدين القائمين بها على يدى بنى عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه. لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال وزن عظما وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا وفى أخبار الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الاسلام ما هو معروف مذكور الى أن ظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيه مستفحلا وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهما حتى لقد اختطوا مدينة مراكش . وقد نجم فى تلك الدولة على عهد على بن يوسف امامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدى أصله من هرغة من بطون المصامدة الذين عددناهم يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب فى صغره ايضا امغار وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه فى أهل البيت وأنه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن عفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أخى ادريس الاكبر الواقع نسب الكثير منهم فى المصامدة وأهل السوس كذا ذكر ابن نخيل فى سليمان هذا وأنه لحق بالمغرب ابن أخيه إدريس ونزل تلمسان وافترق ولده فى المغرب قال فمن ولده كل طالبى بالسوس وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى المغرب وأن رباحا الذى

فى عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن . وعلى الامرين فان نسبه الطالبى وقع فى هرغة من قبائل المصامدة ورسخت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار فى عددهم وكان أهل بيته أهل نسك ورباح وشب محمد هذا محبا للعلم وكان يسمى اسافو ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها وارتحل فى طلب العلم الى المشرق على رأس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهى اذ ذاك دار علم ثم أجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى جملة من العلماء يومئذ من فحول النظائر وأفاد علما نافعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان يتحينونه من ظهور دولة يومئذ بالمغرب ولقى فيما زعموا أبا حامد الغزالى وفاوضه بذات صدره بذلك فأزاده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذ بأقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان سأله عمن له من العصابة والقبائل التى يكون بها الاعتزاز والمنعة ونشأ بها أمر الله فى درك هذه البقعة وظهور الدعوة وانطوى هذا الامام راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقى بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم فى الانتصار للعقائد الفلسفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة فى صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم فى تأويل المتشابه من الاى والاحاديث بعد أنه كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم فى التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت فمنع أهل المغرب من ذلك وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوه تقليدهم والف العقائد على رأيهم مثل المرشدة فى التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأى الامامية من الشيعة وألف فى ذلك كتابه فى الامامة الذى افتتحه بقوله أعز ما يطلب وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب وأحل بطرابلس أول بلاد المغرب نصا بمذهبه ذلك مظهرا النكير على علماء المغرب فى عدولهم عنه وأخذ نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطاع حتى لقى بسبب ذلك أذيات فى نفسه احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز ابن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المقترفين

فاغلظا له الاشاعة فى النكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات فى الطرق فوقعت بسببها هبة أنكرها السلطان والخاصة وائتمروا به فخرج منها خائفا ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورتلكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه واجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامهم اليه فأبوا وسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهى لهذا العهد معروفة وهناك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن على حاجا مع عمر فاعجب بعمله وانتهى عزمه عن وجه ذلك واختص به وشمر للأخذ عنه وارتحل المهدى إلى المغرب وهو فى جملة أصحابه فبلغ تلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضى بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه لأهل قطره وظن أن من العدل نزعه عن ذلك فصم عن قبوله واستمر على طريقه الى فاس ثم الى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فاوقع به الشر من الغوغاء فاوجعوه ضربا ولحق بمراكش وأقام بها آخذا فى شأنه ولقى على بن يوسف بالمسجد الجامع فى صلاة الجمعة فوعظه واغلظ له القول ولقى ذات يوم الصورة اخت على بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين فى زى نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ففاوض الفقهاء فى شأنه بما وصل اليه من شهرته وكانوا ملئوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الاشعرية فى تأويل المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف على اقراره كما جاء ويرى أن الجمهور لقنوه تجسيما ويذهب الى تكفيرهم وهو أحد قولى الأشعرية فى التكفير بالرأى فاغروا الامير به واحضروه للمناظرة معهم فكان له الفتح والظهور عليهم وخرج من مجلسه وانذر بالشر منهم فلحق من يومه باغمات وغير المناكير على عادته وأغرى به أهلها على بن يوسف وطيروا اليه بخبره فخرج منها هو وتلاميذه الذين كانوا فى صحابته ودعا اسماعيل بن ابكك من أصحابه وخرج به إلى صناجات من جبال المصامدة لحق أولا بمنفيه ثم بهشاشة والتف من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد وأنود بن على وهو أبو حفص ويعرف بيته فى هشاشة ببيت فاصكات يقول نسابتهم ان فاصكات هو جد وأنود بن

المشانة بلسانهم ينتهى فلذلك كان يعرف عمر وسيأتى الكلام على تحقيق نسبه عند ذكر دولتهم ثم رحل المهدى عنهم الى أبكبلن من بلاد هرغة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رباطا للعبادة واجتمعت اليه الطلبة والقبائل فعلمهم المرشدة فى التوحيد باللسان البربرى وشاع أمره فى صحبه واستدرك العلم والفقه بمجلس الامير على بن يوسف وهو مالك بن وهيب فاغراه به وكان حزاء ينظر فى النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكا يأتى بالمغرب لانه من المغرب ويتغير فيه شكل السكة لقران بين الكوكبين العلويين والسيارة يقتضى ذلك فى احكامهم وكان الامير يتوقعها فقال احتفظوا بالدولة من هذا الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع فى كلام سفساق بمسجع سوقى يتناقل الناس نصه وهو أجعل على رجله كيلا لئلا يسمعه طبلا وأظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه على بن يوسف ففقده وسرح الخيالة فى طلبه ففاتهم ودخل عامل السوس وهو أبو محمد للمتونى بعض سرعة فى قتله ونذر بهم اخوانهم فنقلوا إلى معقل اشياعهم وقتلوا من داخل فى أمرهم ودعوا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المسلمين دونه سنة خمس عشرة وخمسمائة فتقدم اليها رجالاتهم من العشيرة وغيرهم وكان فيهم من هشاشة أبو حفص عمر ابن يحي وأبو يحي بن يكتب ويونس بن واندين وأبى يعمور ومن تملل أبو حفص عمر بن على أصناك ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وعبد الله بن ملويان وأوهب قبيلة هرغة فدخلوا فى أمره كلهم ثم دخل معهم كيدموية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الامام وكان يسمى أصحابه الطلبة أهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من أصحابه سماهم آية الخمسين فزحف اليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد للمتونى بمكانهم من هرغة فاستجاشوا باخوانهم من هشاشه فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة فكانت هزيمة الفتح وكان الامام يعدهم بذلك فاستبصروا فى أمره وتسابق كافتهم الى الدخول فى دعوته وترددت عساكر لمتونة اليه مرة بعد أخرى ففضوهم

وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تملل فاوطنه وبنا داره ومسجده بينهم وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل أولاد هزواجه وأوقع بهم مرارا وأجابوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم

أبو لوقة للمتونى فغلبهم وقفل فاتبعه بنو بزكيت فاوقع بهم الموحدون وأثخنوا بهم قتلا وأسراً ثم غزا بلد عجرامة وكان قد افتتحه وترك فيه الشيخ أبا محمد عطية من أصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم ورجع الى تملل وأقام بها الى أن كان شأن الشير وميز الموحد من المنافق وكانوا يسمون لمتونه الحشم فاعتزم على غزوهم وجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكيك وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى أغمات وهناك زحوف لمتونة مع بكر بن على بن يوسف وابرهيم بن على باغمات فهزمهم الموحدون وقتل ابرهيم وتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء أربعين الفا كلهم رجال الا أربعمائة فارس واحتفل على ابن يوسف الاحشاد وبرز اليهم للاربعين من نزولهم وخرج عليهم من باب ابلاق فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد العشير من أصحابه واستمر القتـــل فى هيلانة وأبلى عبد المؤمن فى ذلك اليوم البلاء وكانت وفاة المهدى لاربعة أشهر بعدها وكان يسمى اصحابه بالموحدين تعريضا للمتونه فى أخذهم بالعدول عن التأويل وحيلهم الى التجسيم وكان حصوراً لا يأتى النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم فى التقشف والعبادة ولم يحفظ عنه فلتة فى البدعة الا ماكان من وفاقية الامامية من الشيعة فى القول بالامام المعصوم .اه مافى العبر

وقال ابن خلكان فى وفيات الاعيان مانصه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى صاحب دعوة بنى عبد المؤمن بن على بالمغرب تقدم فى ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينسب الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب ونشأ بها ثم رحل الى المشرق فى شبيبته طالباً للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بأبى حامد الغزالى والكيا الهراسى والطرطوشى وغيرهم وحج وأقام بمـــكة مدة مديدة وحصل طرفاً صالحاً من علوم الشريعة والحديث النبوى وأصل الفقه والدين وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخلولقاً كثير الاطراب بساماً فى وجوه الناس مقبلا على العبادة لايصحب من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعاً فصيحاً فى اللسان العربى والمغربى شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لايقنع فى أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الاشتداد بذلك متحملا للأذى من الناس بسببه وناله بمكة شئ من المكروه لأجـــل ذلك فخرج منها الى مصر

وبالغ فى الانكار فزاد فى إيذائه وطردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع القتل به خلط فى كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً الى بلاده وكان قد رأى فى منامه وهو فى بلاد الشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب فى السفينة شرع فى تغيير المنكر على أهل السفينه وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية احدى مدائن افريقية وكان ملكها يومئذ الامير يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وذلك سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته فى تاريخ القيروان ولما تقدم فى ترجمة الامير تميم والد يحي المذكور أن محمداً المذكور جاز فى أيام ولايته بافريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته أيضاً والله أعلم بالصواب ولم يدخل المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فان كان عدوه فى سنة خمس كما ذكرناه فهو فى ولاية الامير يحي لأن الامير تميم توفى فى سنة احدى وخمسمائة كما تقدم فى ترجمته وانما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه انه فاتنى ذلك وهو متناقض فرأيته فى تاريخ الاكزرين الغبطى(؟)وزير حلب وهو مرتب على السنين ماصورته فى هذه السنة وكان فى آخر سنة احدى عشرة وخمس مائة خرج محمد بن تومرت من مصر بعد الطلب بها وبغيرها ووصل الى بجاية والله أعلم بالصواب. ولما وصل الى المهدية نزل فى مسجد معلق وهو على الطريق ونزل فى طارق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكراً من الملاهى وأوانى الخمور الا نزل إليها وكسرها فتسامع الناس به فى البلاد فجاءوا إليه وقرأوا عليه كتباً من أصول الدين وبلغ خبره الامير يحي فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا أياماً يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله بالانكار فأخرج منها الى بعض قراها واسمها سلا فوجد بها عبد المؤمن بن على القيسى المقدم ذكره ورأيت فى كتاب المغرب فى سيرة ملوك المغرب أن محمداً بن تومرت كان قد اطلع على كتاب علوم تسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم

هجاء حروفه ت ى ز م ل ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من اصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله فى نفسه أنه القائم بأول الأمر وأن أوانه قد أزف. مما كان محمد يمر بموضع الا سأل عنه ولا رأى أحداً الا أخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو فى الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التى معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزه فا اسمك فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال الله أكبر انت بغيتى فنظر فى حليته فوافقت ماعنده فقال له من اين أنت فقال له من كومية فقال أين مقصودك قال الشرق فقال ما تبغى قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا وذكرا اصحبنى تنله فوافقه على ذلك فالقى اليه بجملة أمره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريشى ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان الونشريشى ممن تهذب وقرأ على الفقهاء وكان جميلا فصيحا فى لغة الغرب وأهل المغرب فتحدثا يوما فى كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله أن تسر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر العجز واللكن والحصر والبعد عن الفضائل مما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق بما تقوله ففعل عبد الله ذلك ثم إن محمداً تخلص من أهل المغرب أجلادا فى القرى السمانية اغمارا وكان أميل الى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله ثم إنه دخل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا الى مراكش وملكها يومئذ ابو الحسن على بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده فى ترجمة والد المعتمد بن عباد وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له ملك بن وهب الاندلسى فشرع ابن تومرت فى الانكار على جرى عادته حتى أنكر على ابنه الملك وله فى ذلك قصة يطول شرحها فبلغ خبره الملك وانه يحدث فى تغيير الدولة فتحدث مالك بن وهب وقال نخاف من باب يعسر علينا سده والرأى أن نحضر هذا الشخص واصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء الادب فاجاب الملك الى ذلك وكان ابن تومرت

واصحابه مقيمين بمسجد خراب خارج البلد فطلبهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل مايبتغى منا فانتدب اليه قاضى المدينة واسمه محمد بن أسود فقال ما هذا الذى يذكر عنك من الاقوال فى حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله على هواه فقال له ابن تومرت أما مانقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال واما قولك انه يوثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقدحضر اعتبارصحة هذا القول عنه لعلم بتعر (كذا) بدعى هذه الصفة أنه مغرور بما يقولون له وتضرونه به مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة فهل بلغك ياقاضى أن الخمر تباع جهارا ويمشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ اموال اليتامى وعدد من ذلك شيئا كثيرا فلما سمع الملك ذلك ذرفت عيناه واطرق حياء ففهم الحاضرون من مجرى كلامه أنه طامع فى المملكة ولما راوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهب وكان كثير الاجتراء على الملك إن عندى لنصيحة إن فعلتها حمدت عاقبتها فقال الملك وماهى قال إنى خائف عليك من هذا الرجل وأرى أن تعتقله واصحابه وتنفق عليه كل يوم دينارا لتكفى شره وان لم تفعل لينفقن عليك خزائنك ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح عليك أن تبكى من موعظة هذا الرجل ثم تسيء اليه فى مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء. وحكى صاحب المغرب فى أخبار أهل المغرب أنه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى أن فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك اذا لم توله ظهرك فقال إنى لايفارق وجهى الباطل حتى اغيره اه كلامه فلما خرج ابن تومرت وأصحابه من عند الملك قال لهم لامقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهب فما نأمن أن يعاود الملك فى أمرنا فينالنا منه مكروه وان لنا بمدينة اغمات أخا فى الله فنقصد المرور به فلا نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابرهيم وهو من فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه واخبره ابن تومرت خبرهم واطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لايحميكم وان احصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينمل وبيننا وبينها مسافة يوم فى هذا الجبل فانقطعوا فيه

برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع ابن تومرت هذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذى رآه فى كتاب الجفر فقصده مع اصحابه ولما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا انهم من طلاب العلم فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وانزلوهم فى أكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم فقيل له إنهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول ابن تومرت إليهم وكان قد سار فيهم ذلك فجاءوا من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من استدناه عرض عليه ما فى نفسه من الخروج على الملك فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة وكان ذوو الحكم والعقل من اهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فانه لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف ابن تومرت من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخاف أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه اليه والتخلى عنه فشرع فى إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا والوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج فى كل سنة يصعد مماليكه الينا ينزلون بيوتنا ويخرجوننا عنها ويختلون بمن فيها من النساء فتأتى الاولاد على هذه الصفة ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال ابن تومرت والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالحربة فقالوا بالرغم لا بالرضا فقال أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعنى نفسه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤوكم فأجروهم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فأتونى بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما اشار به ابن تومرت وكان ليلا فأعلموه فأمر بقتلهم بأسرهم فلم ينهض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم فلم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق

بمراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات ابن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلا بمقدار مايسع وادى تينمل فانه ضيق المسلك وعلم ابن تومرت أن لابد من عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادى ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين. فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبى الوادى مثل المطر وكان ذلك من أول النهار إلى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم أن لاطاقة لهم بأهل الجبل. وعند ذلك استدعى الونشريشى وقال هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لتستميل قلوب من ليس يدخل تحت الطاعة ثم اتفقا على أنه يصلى الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة تلك المدة انى رأيت البارحة فى منامى أنه قد نزل ملكان من السماء وشقا فؤادى وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه وانقاد له صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن فى النوم فقال له ابن تومرت عجل لنا البشرى فى انفسنا وعرفنا أسعداء أم أشقياء فقال له أما أنت فانك المهدى القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض على أصحابك حتى اميز لهم أهل الجنة من أهل النار وعمل فى ذلك حيلة قتل بها من خالف ابن تومرت وأبقى من أطاعه وشرح ذلك يطول وكان غرضه ان لا يبقى فى الجبل مخالف لابن تومرت فلما قتل من قتل علم ابن تومرت ان فى الباقين من له أهل واقارب قتلوا فرأى أن يطيب قلوبهم فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام اموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الامر ان ابن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله مابين عشرة آلاف فارس ورجل وفيهم عبد المؤمن والونشريشى واصحابه كلهم واقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش واقاموا عليها شهرا وكسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيهم سالما عبد المؤمن وقتل الونشريشى وبلغ ابن تومرت الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله تعالى سيفتح على أيديهم والحرب

سجال وأنكم ستقوون وتعلون وتكثرون وأنتم فى مبدأ أمركم وفى آخره ومثل هذه الوصايا وأشباهها وهى قصة طويلة ثم انه توفى الى رحمة الله تعالى فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ودفن فى الجبل وقبره مشهور يزار وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين واربعمائة وأول ظهوره ودعائه الى هذا الامر فى سنة أربع عشرة وخمسمائة قال صاحب كتاب المغرب فى اخبار أهل المغرب فى حقه

آثاره تنبيك عن اخباره ❊ حتى كأنك بالعيان تراه

له قدم فى الثرى وهمة فى الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون ماء المحيا اغفل المرابطون حاله وربطه حتى دب دبيب الفلق فى الغسق وترك فى الدنيا دويا وأنشأ دولة لوشاهدها أبو مسلم لكان ليعتريه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل اخت كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ولم يشغل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى اصحابه يوما قد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فامر بذلك جميعه واحرقه وقال من كان يبتغى الدنيا فماله عندى الا ما رأى ومن تبغى على الآخرة فجزاؤه على الله تعالى وكان على خمول زيه وبسطة وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فمن ذلك قوله

اخذت باعضادهم اذ نأوا ❊ وخلفه القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهى ولا تنتهى ❊ وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى ❊ تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما ❊ خرجت إلى الدنيا وانت مجرد

وكان يتمثل أيضا بقول أبى الطيب المتنبى

ومن عرف الايام معرفتى بها ❊ وبالناس رد رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به ❊ ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وبقوله

اذا غامرت فى شرف مروم ❊ فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير ❊ كطعم الموت فى أمر عظيم

وبقوله

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

ولم يفتح شيئا من البلاد وانما قدر القواعد ومهدها ورتبها ووحدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره فى ترجمته والهرغى بفتح الهاء والراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة الى هرغة وهى قبيلة كبيرة من المصامدة فى جبل السوس فى أقصى المغرب تنسب الى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما يقال انها نزلت فى ذلك المكان عند مافتحت المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من فوق وسكون الواو وفتح الميم وبعدها تاء مثناة من فوق وهى اسم بربرى والونشريشى بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها شين معجمة هذه النسبة الى ونشريش وهى بليـــدة بافريقية من اعمال بجاية اه ماذكره ابن خلكان ثم اعلم أنه لما كان عبد المؤمن بن على هو عضد دولة المهدى وقيم امره وولى عهده فى حياته وبعد موته ناسب ان نذكر ترجمته بأثره وبيان ماانتهى اليه امره مما كان فى نفس استاذه مما عمده عليه فاقول هو ابو محمد بن عبد المؤمن بن على القيسى الكومى الذى قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدى كان والده وسطا فى قومه وكان صانعاً فى عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلا من الرجال وقوراً ويحكى أن عبد المؤمن فى صباه كان نائماً وابوه مشتغل بعمله فى الطين فسمع ابوه دوياً من السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل فدهوت مطبقة عـــلى الدار فنزلت كلها مجتمعة عـــلى عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ فرأته أمـــه على تلك الحال فصاحت خوفا على ولدها فسكتها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه بل انى متعجب مما يدل عليه ذلك ثم غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينظر ما يكون من أمر النحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبى ومابه من ألم فتفقدت أمه جسده فلم تر به أثرا ولم يشك اليها ألما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى أبوه اليه فأخبره بما رآه بالنحل مع ولده فقال الزاجر يوشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر ورايت فى

بعض تواريخ أهل المغرب ان ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر وفيه ما يكون على يده وقصة عبد المؤمن وحليته واسمه وان ابن تومرت أقام مدة يطلبه حتى وجده وصحبه وهو اذ ذاك غلام وكان يكرمه ويقدمه على أصحابه وأفضى اليه بسره وانتهى به الى مراكش وصاحبها يومئذ أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وجرى له معه فصول يطول ذكرها وأخرجه منها فتوجه الى الجبال وحشد اشتات المصامدة وبالجملة فانه لم يملك شيئا من البلاد بل عبد المؤمن ملك بعد وفاته بالجيوش التى جهزها ابن تومرت والترتيب الذى رتبه وكان أبدا يشعر فيه التجلة وينشد اذا أبصره

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها ... فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة ... والنفس واسعة والوجه منبسط

وكان يقول لاصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول ولم يصح عنه أنه استخلفه بل راعى أصحابه فى تقديمه ماشار به فتم له الامر وكمل وأول ماأخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة ثم انتقل بعد ذلك الى مراكش وحاصرها أحد عشر شهرا ثم ملكها وكان أخذه لها فى أوائل سنة اثنين وأربعين وخمسماية واستوسق له الامر فامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقية وكثير من بلاد الاندلس وتسمى أمير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح . وذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله محمد أبى العباس السمانى لما أنشده

ماهز عطفيه بين البيض والاسل ... مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

اشار اليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه خرج من مراكش الى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد وتوفى فى العشر الاخير من جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسماية وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة واشهراً وكان عند موته شيخا نقى البياض ونقلنا من تاريخ فيه سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيته شيخاً معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شثن الكعبين طويل القعدة واضح بياض الاسنان فى فخذه الأيمن خال رحمه الله تعالى والكومى بضم الكاف وسكون الواو بعدها ميم هذه النسبة الى كومة وهى قبيلة صغيرة نازلة ساحل

البحر من أعمال تلمسان ومولده بقرية هناك يقال لها باجرة .

وقد علم أن مشاهير ملوكهم ثلاثة كل منهم اسمه عبد القوى اثنان شريفان احدهما حسينى موسوى والثانى حسنى ادريسى زيانى والثالث راشدى توجانى فأما الحسينى الموسوى فهو عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم رضى الله عنه المتوفى فى حـــدود الثلاثمائة أوما فى حكمها . وأما الحسنى الادريسى الزيانى فهو عبد القوى بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان القصبى التالوتى الخ المتوفى فى حـــدود التسعمائة أو ما يقرب منها وأما التوجانى المتوفى فى حدود سبعة واربعين وستمائة فلنفرد كل واحد من الثلاثة بفصل مخصوص مقدماً الشريفين ومؤخراً الراشدى التوجانى لكونه لم يكن له ملك حقيقى على تلك المدينة المذكورة وانما كانت ولايته محاربة كما سيأتى فى فصله .

الفصل الاول

فى ذكر الشريف عبد القوى الحسينى الموسوى

فاعلم أن الشريف عبد القوى هذا وهذه المدينة كانت لأسلافه قبله وبها قبورهم وآثارهم فانه كان أبوه الشريف عبد الرحمن بها ملكا وبعد وفاته ولى بها ولده المذكور وأقام مدة مديدة وسنين عديدة وكانت سيرته حميدة كسيرة والده وجده قبله وكان فقيها متبحراً فى جميع العلوم فارساً شديد البأس لا يقاومه أحد فى الحروب مع شدة فيض كرمه وحسن شيمته سريع الغضب قريب الرضى فانه لما مات والده الشريف عبد الرحمن المذكور خلف أربعة أولاد احمد وعبد القوى ومحمد الشراط وزيان . فأما احمد فأولاده بمكة . وأما محمد الشراط فأقام فى مدينة تاهرت . وأما زيان فأقام فى مدينة تيارت . وأما الشريف عبد القوى فأقام فى الملك بعد موت أبيه بقطرتا قدمت كما مر ومن هؤلاء الاربعة تناسل الشرف الحسينى فى تلك النواحى من بعض نواحى الصحراء والسواحل والريف وتلمسان وتونس وغيرها فان مولاى عبد القوى لما مات ترك سبعة أو ثمانية أولاد محمد الكبير وعلى واحمد وعبد السلام وعبد الرزاق وزيان ومحمد الثانى وعبد القوى الصغير وهم صرحة واحدة ثم ان أولاد مولاى عبد القوى المذكورين تفرقوا . فأما السيد محمد الكبير فأقام فى الملك بعد موت

أبيه ومنه انقطع ملك بنى مولاى عبد الرحمن بن ادريس بتاقدمت وهو ولى سنه ٦٩٨ وتوفى سنة ٧٢١ وأما على فقد انتقل بازاء شلق وأما احمد وزيان فقد انتقلا بازاء تونس وأما محمد الثانى وعبد السلام وعبد الرزاق فقد انتقلوا الى مدينة فاس فشـــاع خبرهم بها حتى سمع بهم أميرها موسى بن أبى العافية البربرى فبعث اليهم قائداً من قواده فقبض محمدا الثانى وقتله بالغدر والخديعة وقد خلف ولدا ابن عشرين يوما فخرجت به جارية له فى كمها ؛ اسمها حمامة ، فقال لها الخادم ما عندك أيتها الجارية فقالت ما عندى شيء الاخبزة برقوق تحيى بها النفس التى حرم الله وفرت به الى بطيوة وأقامت به بازاء جبل الحديد وأما أولاد عبد الرزاق وعبد السلام ومحمد الثانى أولاد مولاى عبدالقوى المذكور فهم أهل جبل الحديد وأهل الريف ويقال لجميعهم أولاد حمامة والمذكور هاهنا بعض عقب اسماعيل بن موسى الكاظم انما هو من ولده موسى وجده وفيه كما سنراه بعد ، قال فمنهم أولاد جعفر بن موسى الكاظميون وهم بمصر ومنهم بنو السماء وبنو أبى العساف وبنو مقدم الدولة وبنو الوراق وهم بمصر والشام الآن وأولاد موسى الكاظم فرق مديده فى أماكن عديدة فمنهم فرقة فى مكة ومنهم فرقة فى تلمسان ومنهم فرقة فى نواحى وادى شلق ومنهم فى فاس ومنهم فرقة فى تونس ومنهم فرقة فى الركان ومنهم فرقة فى العراق وهم صرحة واحدة ومنهم غير ذلك فاما أهل مكة فجدهم اسمه على بن احمد بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أهل تلمسان فرقة يقال لهم أولاد الطاهر السقلى صاحب تلمسان وانتقلت ذريته الى فاس فهم المعروفون بالسلقيين ومنهم فرقة فى قبائل بنى مطهر فجدهم جميعا الشريف طاهر السقلى ابن على الفقيه ابن يحيى بن على بن الحسن بن محمد قاضى الجماعة ابن اسماعيل بن الطاهر بن موسى بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أهل نواحى وادى شلق فمنهم أولاد السيد محمد بن عبدالقوى المتولى الملك بعد أبيه ومنهم أولاد سيدى على بن يحيى الولى المشهور والنور المأثور وقد خلف اثنى عشر ولدا سيدى خليفة والأزرق وعبد العزيز ومحمد واحمد ويحيى وعبدالرحمن وابو القاسم وعيسى وعبد الله وعمر

وعمران بن الجارية وهم صرحة واحدة فجدهم اسمه على بن يحي بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن أبى بكر بن مؤمن بن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه فيكون السيد على المذكور من أهل المائة السابعة على قياس ماسبق وقسم عده الجدود على ثلاثة فأما سيدى عمران و سيدى خليفة فانتقلا الى جبل العمود وخلف سيدى خليفة اربعة أولاد سيدى عبد العزيز وسيدى احمد وسيدى عليا وخلف سيدى احمد بن خليفة بن على بن يحي الخ وخلف سيدى هلال عشرة أولاد سيدى محمد وسيدى احمد وسيدى ادريس وسيدى عالم وسيدى احمد الصغير وسيدى على أبو حربة وسيدى هلال بن هلال وسيدى موسى وسيدى عبد الله وهم أهل مساكن بازاء القيروان بعمالة افريقية فجدهم اسمه محمد بن هلال بن محمد بن محمد بن خليفه بن على بن يحي بن راشد بن فرقان بن حسان بن سليمان بن أبى بكر بن موسى بن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدى يحيى والد سيدى على المذكور هو ابن سيدى راشد صاحب جبل بنى وليد فتقطب اثنتى عشرة سنة وهو صاحب درجة رفيعة وكان يقرأ فى مصر ويصلى الظهر فى مكة ويروح لبنى وليد ثم توفى رحمة الله عليه وخلف أربعة أولاد وبنتاً: سيدى يحيى وسيدى يعقوب وسيدى عبد الجبار وسيدى على وسيدتى فاطمة . فأما سيدى يحي فانتقل بازاء وادى شلق وهناك تفرعت أولاده المذكورون وأما سيدى يعقوب فبازاء جبل نزاره وأما سيدتى فاطمة فتزوجت سيدى محمد الفقيه فى بنى وليد فجدهم جميعاً اسمه راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن أبى بكر ابن موسى بن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله الملقب بابن سفانة المستقر فى رأس العين عند أولاد داوود الحميرى ثم الحسنى فى قبائل بنى مطهر فهو من ذرية سيدى على بن يحي بن راشد ويلحق بهم بعضهم

ممن يجتمع معهم فى محمد بن عبد القوى فمنهم أولاد سيدى موسى بن احمد بن البريشى أصله فى تقادمت المعروف بقبائل بنى عامر فاسمه محمد بن على بن محمد ابن على بن احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن أبى القاسم بن على بن محمد بن احمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أولاد سيدى محمد بن هلال ابن سيدى محمد المكى خلف ستة أولاد اولهم سيدى هلال بن محمد بن هلال وسيدى على بن محمد بن هلال وسيدى هلال بن محمد بن هلال وسيدى على بن محمد ابن هلال واما سيدى احمد بن هلال فانتقل بازاء فرجان من ناحية المشرق واما سيدى هلال بن محمد بن هلال فانتقل الى الصحراء ثم انتقل إلى المغرب بازاء انجاد فى قبائل شجيع واما سيدى ابن هلال فانتقل إلى المغرب الاقصى واما سيدى محمد بن هلال وسيدى عبد الله بن هلال وسيدى على بن هلال فهم اهل مدينة القيروان لجدهم اسمه محمد بن هلال بن ادريس بن غالب بن محمد المكى بن اسماعيل بن محمد بن ابى القاسم بن على بن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه شجرة اصلهم: على بن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن ابى بكر بن موسى ابن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن على بن ابى طالب رضى الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل الثانى

فى ذكر الشريف عبد القوى الحسنى الادريسى الزيانى القصبى التالوتى احد ملوك اقليم مدينة تاقدمت قاعدة المغرب الاوسط المذكورة قبل وهو آخر ملوكها وهذه البلدة كان لها شأن عظيم وذكر جسيم فى السابق لما اشتملت عليه من المحاسن فى اقليمه وما بها من الرياض والقصور والمساكن وقد ذكرها المؤرخون أخبارا طويلة وحكايات جزيلة يطول ذكرها وما اشتمل عليه صقعها وقد استوفى

غالب مالها قديما وحديثا بحسب وقته الامام الهمام المازونى صاحب الدرر المكنونة فى كتاب له فى ذلك والشريف الزيانى المذكور كان لاسلافه وأجداده فى محله الآتى ذكره من القدر العظيم والجاه الجسيم والمهابة والوقار والمكانة والاستكبار مايقصر عنه اللسان ويعجز عن تفصيله رسم البنان قبل ملكهم تلمسان وبعده أما محل أسلافه وقرار اوائله فهم أهل القصبة قصبة تالوت باقليم الصحراء بأعالى أواسطها بنواحى وادى سسلم ونهر واصل وما يلى ذينك من أطراف اقليم تلك النواحى فهى مقر اسلافهم وأوائلهم بعد انتقالهم من محل أسلافهم الاول مولاى عمران بن ادريس وبنيه الذى هو الريف وباديس حصته مع اخوته العشرة حيث قسمها بينهم أخوه الامير مولاى محمد بن ادريس بأمر جدتهم وسيأتى اشارة لشىء من ذلك وأما سبب نقلتهم وحلولهم باقليم تلك المدينة الآتى ذكرها فهو أنهم لما انقضى ملكهم بتلمسان ومما حصل لهم بها مما يأتى ذكره رجعوا الى محلهم المذكور وكان الراجع اليه جد الشريف المذكورة وهو السيد يوسف بن زيان وكانت له أولاد بعد ذلك ولم يبق منهم الا الشريف عبد الرحمن بن يوسف المذكور فهو الذى انتقل الى تاقدمت المذكور وولى إمارتها وولد له الشريف عبد القوى المذكور فنشأ بها صالحا خيرا مباركا شجاعا كريما عالما بعلوم جمة كتابا وسنة وفقهاً مع علوم شتى تقصر عنها أطول يد لغيره فيها وله من الذكاء والفطنة وحسن السيرة ماليس لغيره من أهل وقته قاطبة وهو الذى أقامها واستفحل ملكه بها وبقى بها مدة مديدة فى سنين عديدة فى سعود واقبال وأمن وافضال وقد أعاد لها من احسانها ما قد وهى واندثر مما خربه طوائف اجلاف العرب وقبائل البربر ثم إنه لما تم بها أمله انقضى أجله بعد أن خلف ولدين محمدا ومنداسا أما منداس فسيأتى خبره وأما محمد فقد أقام بها على ما كان أبوه وجده ومنه انقطع ملك بنى عبد الرحمن بها وتفرقت أولادهم عنها

هذا اجماله وأما تفصيله فهو ما ذكره الامام الهمام أبو المكارم محمد بن عبد الله ابن خلدون التلمسانى فيما أبداه فى تحقيق الاصول كما فى شرح سلاسل الفصول قائلا ما خلاصة معناه أن الشريف المذكور أصله من شرفاء بنى زيان أهل القصبة قصبة تالوت بأعالى الصحراء بنواحى وادى سسلم ونهر واصل ومايلى ذينك من تلك النواحى وهى مقر اسلافهم وأوائلهم ولهم بها قدر عظيم وجاه

جسيم ولبعضهم بعض اقامات بمدينة تلمسان سيما حيث صار لهم بها ملك عظيم وسلطان جسيم مما يزيد بقرب ماية سنة ومع ذلك ما رفضوا مقارهم المذكورة ومنازلهم المشهورة قال ثم ان الشريف زيان القصبي التالوتي الذى هو مرجع نسب تلك القبيلة وأصلها وبه سميت فهو الشريف زيان بن زين العابدين بن يوسف بن ادريس الآتى تمام نسبه وكان أسلاف الشريف زيان المذكور المسمى به بنوه انما يعرفون بشرفاء تالوت وتارة باشراف قصبة تالوت وتالوت هذا اسم بلد عظيم ومواضع ومحال أقوام به وأحواله قصور وقرى ومدارس كانت معمورة بأهاليها وأما قصبتها فهى خاصة بأشراف أوائل الشريف زيان المذكور وانما حدثت لهم النسبة الزيانية بسببه وسائر بلد تالوت كان به علماء وصلحاء وأفاضل وأشراف لا يحصون كثرة منهم الفقيه الحافظ العلامة الهمام القدوة الامام أبو الحسن على بن محمد التالوتى الانصارى أحد شيوخ الشيخ سيدى محمد السنوسى صاحب العقائد وأخوه لامه ومنهم الفقيه العلامة الهمام العابد الملازم الصيام والقيام أبو العباس احمد بن عمر التالوتى الانصارى وأخوه الناسك الابر ابو الحسن على بن عمر الانصارى والثلاثة المذكورون من أصحاب سيدى محمد الهوارى دفين وهران رضى الله عنه ولهم معه أخبار طويلة فى كرامات جزيلة وكانت وفاته سنة ٨٤٣ وبعضهم أخ للشيخ السنوسى وقد توفى سنة (؟) وما وقع خراب بلد تالوت وقصبتها الا بعد ذلك المذكور ومنهم غيرهم تركنا ذكرهم خوف الاطالة ولم تزل بعد معمورة واليها ينسبون وغالب أهلها أنصار وأشراف الى اختلال نظام الملك بها بسبب ملك الاشراف بتاقدمت كامر وتغلب الاعراب عليها ونواحيها بعد التاريخ المذكور فى حدود العاشرة وما يقاربها وأما الآن فهى مداثر بلاقع واطلال رسوم شواسع أسوارها واقعة عليها ومراسم ديار لا أنيس بها غيرت أسماء سكانها الفاضلة القديمة باسماء أقوام سالفة ذميمة شأنهم الغارات ونقض الذمم وخفر العهود ودناءة الهمم ليس لهم مبالاة بالدين ولا اعتبار لهم بسنن سيد المرسلين بعد أن كانت بها رياض العلوم زاهرة وافنانها يانعة مثمرة القرآن بها رواياته محررة أى تحرير والاحاديث مضبوطة أصولها وفروعها مقررة أى تقرير وكتب أصول المذهب القدماء لا يخالطها تبديل ولا تغيير وقد مر بتلك الديار وغالب الظن أنها تقدمت

رجل صالح عالم بالحديث والتفسير والفقه حافظ لكتاب الله محقق لرواياته السبعة بل العشرة وكان ذلك الرجل لا يفتر لسانه عن ذكر الله وتلاوة كتابه فبات تلك الليلة بالمحل المذكور فقام يتهجد يصلى ويتلو وكان مبيته بقرب المقبرة فكشف له عن قبور الصالحين بها بأنوار ساطعة تخطف الابصار باقية قبورهم عديدة فناداه انسان من قبره قائلا له ياهذا جازاك الله خيرا ذكرتنا بشيء طال العهد بمن كان يذكرنا به فقال ذلك الرجل الصالح هل فيكم من يحفظ القرآن فأجيب بأن غالب من حواليك من القبور من المهرة به رجالا ونساء وأقرب ما اليه بسبعماية جارية ممن يحفظ بجميع رواياته العشرة ويحفظن المدونة عن ظهر قلب وأما الاحرار من الرجال والنساء فلا يحصون كثرة. وكان سبب ملكهم لتلمسان أن الشريف المذكور كان له سطوة عظيمة وطول يد عميمة مع شدة شكيمة فى الدين واقامات دعائمه مع تمام الشفقة والرأفة بالمسلمين وكان له أربعة أولاد على نهجه وسبيله وتضلع بكتاب الله وسنة رسوله الشريف احمد والشريف يوسف والشريف عبد الله والشريف زيان وكان لهم أيضا مع ذلك من الشهرة وشدة الشكيمة فى الدين والقيام بوظائفه والوقوف على حدوده فى أنفسهم وتابعيهم والسطوة التامة والقوة العامة فى قطرهم المذكور الموروث لهم عن اسلافهم ثم انه جرت أمور عظام وأسباب اقتضت طلب أهل تلمسان من الاشراف المذكورين تولية أحد منهم عليهم فى بلادهم لاقامة الدين وحقن الدماء وحفظ أموال المسلمين لعلمهم باستحقاقهم ذلك دون غيرهم فأجابوهم بعد الاباية وعقد الشروط المنعقدة بينهم واستكمال شرائط البيعة فكان أول من تولى منهم سلطنة تلمسان ومكث ثلاثين سنة فى أقوم حال وأتمه وأنعم عيش وأرغده هو الشريف احمد بن زيان المذكور وتخلف ابنه يوسف من بعده عشر سنين كذلك ثم انه جرت خطوب بينه وبين بنى مرين فتغلبوا عليه وهجموا عليه فقتلوه وهدموا القصبة المعدة لهم بها وفر عمه زيان لذلك فرجع الى بلاده المذكورة وقد خلف الشريف يوسف بن احمد المقتول أولادا منهم محمد وحمزة واحمد مع أمهم فبقيت أمهم مع عيون لهم فى البلد وهم فروا بأنفسهم لبلادهم فى الصحراء ومكثوا فيها حتى تراجع أمرهم وتناسبت احوالهم واشتدت شوكتهم واجتمع عليهم حشمهم ونصرتهم طوائف البربر وقبائل العرب وراموا افتكاك ملكهم وقوى

اهتمامهم بأخذ ثارهم من عدوهم ولم تزل امهم وعيونهم تحثهم على ذلك وتراسلهم المرة بعد المرة ليغتنموا الفرصة بالرجوع الى ملكهم اما بقهر القوارع المزعجات الدافعة أو بما يمكن من أنواع الاحتيالات النافعة واعداؤهم فى غياهب عنهم غازون ولانقراض من كان يناويهم بمحلهم آمنون مع طول زمان الوقائع الكائنة من أسلافهم وأمهم وعيونهم لهم اشراف واطلاع على اختلال أحوال أعدائهم وانهم ان امتثلوا لهم نالوا مرادهم فامتثلوا الامر وساروا اليهم من محلهم باموالهم وعددهم ومن أمكن من حشمهم وخلفائهم حتى انتهوا قريباً من المدينة على صفة الاعراب المنتجعين الطالبين رعى مواشيهم فى سوائح البلد وصحاريهم فتسامع الناس بهم على الوصف المذكور وخرج لهم خلص احبابهم للقائهم والسلام عليهم حتى بعض عظماء بنى مرين خرجوا اليهم ولقوهم بقرية بيدر وضيفوهم بعظيم الاطعمة وكرائم الطرف وأنواع الاشربة وجلائل التحف ثلاثة أيام ثم رجع الناس كلهم بنو مرين وغيرهم فاجتمعوا مع خلص عيونهم وأمهم ومن معها خفية وأصحاب تدبيرهم فتشاوروا كيف السبيل إلى حصول مرادهم فاقتضى رأيهم أنهم يهجمون على عدوهم كما هجم عليهم فهجموا على اعدائهم وهم غازون فدخلوا البلد واستولوا عليها فحمدوا الله وهم له شاكرون فغنموا من ذلك ما غنموا وقتلوا ما قتلوا وعتقوا ما عتقوا وفر بنو مرين وحزبهم منهزمين الى مدينة فاس

ثم إن أولاد الشريف يوسف بن احمد بن زيان المذكور عقدوا البيعة لاخيهم الشريف احمد المذكور ومكث بها ملكا نحو ثلاث سنين ثم لما اطمأنوا واستكانوا بعثوا إلى عمهم الشريف زيان المذكور ليقدم عليهم فسار جاد السير اليهم مع الصحراء فقطع من وادى سسلم الى تلمسان فى أربعة أيام وترك أولاده فى حوز تالوت القصبة مع النساء والصبيان فاجتمع معهم فجعلوا لذلك مهرجانا عظيما واستلحقوا من شاءوا من أهلهم وأولادهم وجعلوا مهرجانا آخر ومكثوا على ذلك مدة مديدة فى أيام سعيدة ثم دارت الدوائر وانقلبت العشائر وثارت الفتن ونشر بيت المحن فى أسباب يطول شرحها فآل أمرها إلى موت السلطان احمد بن السلطان يوسف بن السلطان احمد بن زيان المذكور وامه واخوانه واولاده فى جم غفير منهم وأنصارهم ثم إن أهل تلمسان بعد ذلك جعلوا أحد موالى زيان بن زيان المذكور سلطانا فبقى سلطانا

نحواً من أربعين سنة ثم استغلظ أمر بنى مرين وكادوا أن يحيطوا بالمدينة وصاروا يتأهبون لقتالهم ويفسدون عليهم أنصارهم بالرشا يراسلون ويبعثون بذلك للعرب والبربر قبيلة قبيلة حتى أتت اليهم جميع العرب بنجدة وقوة واحاطوا بهم وحاصروهم نحواً من أربع سنين فانهتكت تلمسان وهلكت وضاعوا بالجوع فالتقى الجمعان فانهزم جمعهم وانقلبوا مدبرين ودخل بنو مرين على من هناك من بنى زيان القصبيين التالوتيين وقتلوا السلطان مولاى زيان واخاه الشريف عبد الله وهرب السيد يوسف أخوهم الى بلدهم المذكورة سالما فتمكن بنو مرين منهم أى تمكن وغنموا ماعندهم وهدموا القصبة واستقر أمر بنى مرين فى مملكتهم بتلمسان والظاهر أن بنى مرين هؤلاءهم بنو وطاس منهم لان بنى مرين الاول اعنى بنى عبد الحق ومن فى معناهم كان أعظم ملكهم للثمانماية والمائة التاسعة والخمسون بعدها لبنى وطاس منهم فالجملة تسعمائة وخمسون وما كان لبنى زيان المذكورين ولاية على تلمسان اذ بعد انقضاء أمر بنى عبد الوادى بها وكان انقضاؤه فى أواخر الثامنة كبنى مرين الاول فتبين أن أمر بنى زيان القصبين انما كان مع بنى وطاس منهم أو مع الطرفين والله أعلم وسيأتى لذلك مزيد بيان ثم ان السيد يوسف المذكور لما بلغ مأمنه بوصوله لموضع أسلافه موضع أبيه وجده أبى زيان بن زين العابدين مكث فيه وتزوج أربع عشرة امرأة ولم يولد منهن سوى ياقوتة بنت عبد الله بن جعفر فولدت له عشرة أولاد وثلاث بنات فبقى منهم عبد الرحمن ومات الباقون فانتقل عبد الرحمن الى تاقدمت ونزل فى عين الطوغ وحصل له بها من التعظيم والجاه الجسيم ما هومعروف لهم فى أسلافهم السابقين فتزوج حسنة بنت عامر القرشى فولدت له عبدالقوى وجعفر واحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بنى زيان وتفرعت أولاده الثلاثة فاما السيد جعفر بن عبد الرحمن فسار قاصدا ناحية المشرق حتى نزل وادى الذهب فى المكان المعروف بوادى عام وأمر ببناء قصر الذهب فمن بناه السيد محمد بن عبد الله المعروف ويقال لذريته المقارنة وأما السيد احمد بن عبد الرحمن فسار ونزل ببلاد القبائل المقربين من مدينة الجزائر الحالين ببعض شوامخ جبالها واستقر بها وله بها أولاد ويقال لذريته البراكنة منهم

الولى الصالح سيدى أحمد بركان لجدهم السيد احمد البركانى بازاء مليانة فاسم جد كل من المقارنة والبراكنة السيد عبد الرحمن بن يوسف بن زيان ابن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن على بن عمران بن ادريس ابن ادريس بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الشريف عبد القوى فاقام يعنى سلطانا فى مدينة تاقدمت ثلاثين سنة ومات وترك اثنين من أولاده محمدا ومنداسا

فاما محمد فتولى السلطنة بتاقدمت من بعد أبيه مدة مديدة ومات بها وبقيت ذريته بازاء تاقدمت ونواحيها ، ومنه انقطعت السلطنة بها لبنى زيان القصبيين واما منداس فدخل العبادة فى بلده تلك على عادته من دوام النسك والانقطاع الى الله تعالى ومات بها وترك ولدين احمد الملقب بالمرابط وأخاه يوسف فأما الشريف يوسف فذهب وسار من بلاده الى بلاد بنى ماحون بنواحى البحر وتزوج فيها ومات ولم تبق له ذرية وأما الشريف مرابط فكأنه انتقل هو وبنوه الى نواحى وادى شلق بنحو منازل قبائل السويد وترك السيد راشداً هناك وبها توفى وقبره مشهور مزور بسوائح ظهر الملح منها والسيد راشد المذكور خلف ثلاثة أولاد السيد يحى وعبدالله ويوسف فعبدالله ويوسف لم يبق لهما ذرية وأما السيد يحيى فخلف ولده السيد على المشهور المكنى بأبى العسل وقبره مشهور مزور لقصة لهم فى ذلك والسيد على خلف ولده الشريف خطابا العلامة الهمام القدوة الامام جد آل خطاب قاطبة وقبره مشهور مزور هنالك بملتقى وادى شلق ووادى مينة وهو ولد الشريف الابر القطب الاكبر السيد عبد الله النقابى المذكور المتولى القطبانية وهو دفين ثغر بلد مستغانيم الكائنة بساحل البحر المعروف بالمطمر منها وما عمر تلك البلد الا بعد حلوله بها وانما كان ذلك البلد قبل محلا لرباط المجاهدين فى سبيل الله وثغراً من ثغور المحتسبين لرباط الله وكان السيد المذكور نزوله واقامته بها لذلك وحصل له فى ذلك المحل وقبله من الكرامات ما لايحويه كتاب وبذلك الثغر توفى وقبره مشهور مزور وله قبر آخر كذلك بقرية عيذب بساحل تلك البلد شرقيها لقصة عندهم مشهورة له فى ذلك وقد خلف خمسة أولاد بتلك النواحى لكل

منهم كرامات شهيرة ومناقب أثيرة يعلمها الخاص والعام من أهل وطنهم متواترة عندهم والخمسة الاولاد المذكورون كل منهم نال من الولاية العظمى حظا وافرا وقد دعا الله تعالى والدهم ان لا ينقطع عدد مراتب الخمسة الاولاد من بنيهم وبني بنيهم الى قيام الساعه فاستجيب له ولم تزل بركة ذلك مشاهدة فيهم عند الخاص والعام واسم جدهم جميعا اعنى الخطابيين هو السيد عبد الله بن خطاب ابن علي بن يحيي بن راشد بن احمد المرابط ابن منداس بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس بن أدريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه محصل كلام ابن خلدون التلمساني

قال بعضهم بعد ما ذكر من أول النسب الى آخره ما نصه وقد كنا نسمع من أعيان محل اولئك الاشراف ان سلسلتهم هذه تسمى عندهم بسلسلة الذهب وقد تواتر عندهم ان هذه السلسلة الخطابية العمرانية من أصح السلاسل وأتقنها من ابتدائها الى انتهائها اذ لها طرفان وواسطـــة فالطرف الاول وهو من أحمد بن محمد الى علي وفاطمـة وهم ستة عشر فهذا لا ريب فيه لاحد لـكون عمران هو ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله الـكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضى الله عنهما هو النسب المحقق الذى لا ريب فيه حسبما رتبه المؤرخون كابن خلدون ولـكون عمران أيضا أعطى من بين اخوته أرض الريف وبادس وانتقل هو اليه وتناسلت أولاده هناك بهما فقد ذكروا كما مر ولما فى كتاب رفع التدليس عن بنى ادريس ان الامام محمد بن ادريس لما قسم البلاد على اخوانه وعين لـكل منهم محله المخصوص به واستوطن وترك ذريته به ه وعليه فيكون ان الامام عمران ولد عليا هناك او قبله وهو ولد حمزة وحمزة ولد داود وهو ولد يعقوب وهو ولد سعيدا وسعيد ولد ادريس وادريس ولد الحسن والحسن ولد يوسف ويوسف ولد زين العابدين وزين العابدين ولد زيان المذكور منشأ النسبة الزيانية كما مر ثم أن المنتقل من محله الاصلى المذكور لجدهم انما هو فيما بين يعقوب والحسن الى الديار القصبية التالوتية من هذا الطرف والله أعلم والطرف الثانى من عبد الله بن الخطاب الى ادريس بن عبد الله وهى خمسة

عشر وهى يقينية أيضا بتنقلاتها ومقارها وأضرحتها بمواضعها المعروفة بها وأما الواسطة فهى مابين ادريس وداود بن حمزة بن على بن عمران وهم عشرة وهولاءهم المتنقلون أو بعضهم عن محالهم ومحل أبيهم المذكور الى نواحى الصحراء اذ كانت معمورة بملوكها وأعرابها الخيرين الصالحين بها فنالوا بها من الامن والراحة على انفسهم وأموالهم وأعراضهم من الهناء والدعة التى يقصر عنها الوصف والمتنقلون الى ما ذكر منهم من محال أبيهم وتصاريف أمورهم وسيرهم مذكورة فى مختصر الدر النفيس فى أحوال الائمة الاثنى عشر من بنى ادريس فليراجع قال بعضهم وهذه الخمسة المذكورة هى من التحقيق بمكان بحسب أصلها غير أنه وقع فيه اختلاف نسخ بالتقديم والتأخير منه ما تحرر لدينا اعتمادا على الاصول التى بأيدينا والله المعين بمنه وكرمه آمين وسوف نذكر ترجمة مولانا الشريف عمران بن ادريس الامام رضى الله عنهما من أول أمره الى منتهاه ونتتبع أولاده ونقلاتهم فى سائر امكنتهم وأسباب ذلك لينكشف الغيب ويزاح الريب كسائر تراجم بنى ادريس الاثنى عشر رضى الله عنهم ونتبع بنيهم وبنى بنيهم الى وقتنا ممن علمناه منهم وبتمامهم يتم الكتاب والله الموفق للصواب بمنه وكرمه آمين

وهذه شجرة آل خطاب منهم حسبما اثبته ابن خلدون التلمسانى وغيره هكذا عبد الله بن خطاب بن على بن يحيى بن راشد بن رابط بن منداس بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود ابن حمزة بن على بن عمران بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تتمة

اعلم ان لفظة بنى زيان تطلق على قبائل عديدة وانساب عديدة منهم شرفاء وعرب وبربر والمذكور فى المحل اثنان

الاول « بنو زيان » ملوك تلمسان وهم بنو عبد الوادى نسبة الى زيان بن يوسف بن محمد بن زكرياء الآتى ذكره وهم من زناته وليس لهم حظ فى الشرف

على ما قال المقريزى فى قلائد العقيان فى انساب عرب الزمان ونصه : ومن زناتة بنو عبد الوادى ملوك تلمسان القائمون بها الآن وهم بنو عبد الوادى ابن بار بن محمد بن بنى رحيك بن واسير بن مسلمين بن سترين بن اكيابن بن ادد بن جانا وهو زناتة وأول من ملك منهم تلمسان جابر بن يوسف بن محمد بن زكرياء بن بندركش ابن طاع الله بن على بن القاسم بن عبد الوادى ولم تزل فى اعقابهم وربما غلبهم عليها بنو مرين ملوك فاس التى صارت بيد سعد بن أبى حمو موسى بن غمراسن بن زيان بن يوسف بن محمد بن زكرياء المتقدم ه فالنسبة الزيانية انما طرأت عليهم من زيان بن يوسف المذكور واما قبله فانما يعرفون ببنى عبد الوادى أصل نسبهم المشهور وهم أقدم زمانا وأكثر ذكرا عند المؤرخين وربما التبست النسبتان حتى غلط فى ذلك كثير فقد نسب العلامة التنيسى الشرف لبنى عبد الوادى وقد علمت أنهم بربر ليس لهم فى العربية أصل فضلا عن الشرف ومثله ما قاله ابن خلدون فى العبر وفى مرآة المحاسن ما نصه أول ملوك بنى عبد الوادى بتلمسان يغمراسن أول المائة السابعة وفى آخرها آخر ملوكهم الامير أحمد بن الامير عبد الله سنة ٩٥٣ وقال فى التعريف بالشيخ الامام أبى الطيب الحسن بن يوسف بن يحيى بن مهدى بن محمد بن يوسف بن مهدى العبد الوادى قال أصله من بنى عبد الوادى احدى قبائل زناته المشهورة وهى التى كان لها الملك والسلطنة فى تلمسان وما اليها من ولد يغمراسن بن زيان مقيم الدولة فى أوائل المائة السابعة ومهدها لبنيه بعده الى أن تغلب الترك عليها وانتزعوها من احمد بن عبد الله من أعقاب يغمراسن قال وقال العلامة الونشريشى ومن خطه نقلت مانصه قدم حسن بن خير الدين التركى واستولى على تلمسان أواسط شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الامير احمد بن الامير عبد الله ووزيره منصور بن أبى غانم ولحقا بدبدو ومن انضاف اليها من امراء تلمسان وكبرائها فغدرهم محمد بن يحيى يعنى المرينى صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتقهم وسرح منصور بن أبى محرم فى سنة ثلاث وخمسين ولا حاجة فى ذكر مابعد ذلك من الاحداث التى لم تستقر كدخول الشرفاء ملوك المغرب اياها فان الامر استقر بها للترك إلى هذا التاريخ وهو سنة ست واربعين و الف اه فكان جميع ملكهم بتلمسان احدى وخمسين وثلاثمائة

النسبة الثانية

نسبة بنى زيان لاشراف الادارسة القصبيين بمن جمع اسلافهم بين ملك تلمسان وملك الصحراء على التعاقب إذ هم من بعض ملوك الصحراء مدينة تاقدمت قاعدة صحراء المغرب الاوسط آخر ملوكها المذكورون فى الفصل الثانى وقد علمت نسبهم وما آل اليه أمرهم فما نص عليه ابن خلدون التلمسانى ولم يكن لبنى زيان الادارسة ملك وسلطنة بتلمسان إلا بعد انقراض بنى زيان العبــــديين وانقراض بنى مرين اعنى بنى عبد الحق انما كانت حروبهم مع بنى مرين الوطاسيين فانهم كان لهم المائة التاسعة والخمسون بعدها دل على ذلك ماسيأتى وما وجد مكتوبا فى رخامة سقطت من جسر الرسيف فى الوادى عام تسعة والف ونصه

جسر الرسيف أبو العباس جدده * فخر السلاطين من بنى وطاس
قد جاء فى غاية الاتقان والمنا * لمن يمر به من عــــدوة فاس
وقد تكامل بنيانه عام عنا * من هجرة المجتبى المبعوث للناس

كما فى القرطاس والمغرب وفى المرآة مانصــــه آخر ملوك بنى مرين الوطاسيين وما اليها أبو العباس احمد بن أبى عبد الله محمد الشيخ الوطاسى المرسى حيث أسر أخوه فى وقعة وادى درنا للشرفاء على بنى وطاس فى رجب سنة ثلاث وخمسين وتسعماية ومات فى تلك الايام القريبة هما وغما رحمه الله وتقدم بعض ذلك فاعلمه وقد قال فيها أيضا وقد التقى الجمعان على مشرع أبى عقبة من وادى العسر مقاتلة فاس وسلطانهم احمــــد بن محمد الوطاسى ومقاتلة مراكش وسلطانهم أبو العباس احمد بن محمد الشريف المعروف بالاعرج ومعه اخوه السلطان بعده أبو عبد الله محمــد الشيخ سنة ثلاث واربعــــين وتسعماية فانهزم السلطان أحمد الوطاسى وتفرقت جموعه وتبعتــــه الخيل فكادوا يقبضونه فحضره هنالك رجل على فرس يحول بينه وبينهم ويقول له سر يا أحمد ولم يزل معه الى أن نجا وقال فيها وكان السلطان أبو المعالى زيدان صاحب مراكش ابن السلطان أبى العباس احمد المنصور التقى مع ولد أخيه صاحب فاس السلطان محمد الشيخ بروس الشعرب يوم الخميس السابع والعشرين

من شوال عام سبعة عشر وألف فانهزم السلطان عبدالله وفر الى محلة أبيه على العرايش ثم رجع الى جهة فاس وانتهى الى دار ابن مشعل من بلاد بنى يزناس واستولى عمه على محلته وسار إلى فاس فدخلها وأقام إلى أوائل سنة ثمان عشرة ورجع إلى مراكش واستخلف بفاس العلج مصطفى باشا ثم ان السلطان عبد الله زحف الى فاس فخيم مصطفى بظاهرها من ناحية باب الفتوح وعرض لصاحب الترجمة عارض من الامور العامة جاء فيه وتردد الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثانى سنة ثمان عشرة والف فالتقى الجمعان بين الظهرين يومئذ فأجلت الحرب على قتل مصطفى وفقد صاحب الترجمة رضي الله عنه وقد تقدم بعض ذلك. فاعلمه وقد ذكر فى العبران كلام بنى عبد الوادى وبنى مرين من زناتة أما بنو عبد الوادى فقد تقدم نسبهم وأما بنو مرين فقال المقريزى أيضا فى الجمان قبل ذلك ما نصه من زناتة بنو مرين بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر وهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن فاتى بن بدر بابن يحت بن عبد الله بن درفيص بن المعز بن ابرهيم بن رحيك بن واشق بن القلين بن سر بن زكريا دريك بن اربدت بن جانا وهو زناتة ومن بنى مرين بنو عبد الحق ملوك المغرب الاقصى الآن المستقرون بمدينة فاس وهم بنو عبد الحق بن يحيى بن أبى بكر بن خالد بن محمد بن روصيص بن فكرس بن كونان طريق ابن بدر المتقدم ذكره وأول من ملك منهم السلطان أبو سعيد بن عثمان بن عبد الحق استولى على بعض نواحى الغرب ثم قتل فى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وملك بعده مدينة فاس أخوه محمد بن عبد الحق ثم تداولتهم أعقابهم الى أن كان منهم السلطان أبو الحسن المرينى فى حدود أيام الناصر محمد بن قلاوون فعظم سلطانه واتسعت مملكته ولم يزل يتنقل فى أعقابهم الى أن صار الامر فيهم الى السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس احمد بن السلطان أبى الحسن بن السلطان ابى سعيد عثمان ابن أبى العباس احمد بن السلطان أبى سالم بن السلطان أبى الحسن بن السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق انتهى

الفصل الثالث

في أخبار عبد القوى بن العباس الراشدى التوجانى الزناتى ثالث الثلاثة المذكورة

وملكه مجازى بالنسبة لتلك البلد المذكورة، وذلك انه لم يكن له ملك حقيقى على مدينة تاقدمت المذكورة بحيث كان له الحل والعقد بها والاقامة بها فى حال قيامها بأسوارها وقصبتها خلال أسواقها ومساجدها وأربطتها المعدة لذخائرها لجندها وعساكرها. وانما كان متغلبا على أوطانها وسوائحها فى حال دثورها وانحلال أمرها فصار ملكه بها مجازيا على سبيل التغلب لاعرابها وقراها ومن انزوى اليها وانما كان ملكه بدويا لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحاتين يتنابون فى مشاتيهم الى مزاب والزاب ونحوهما وينزلون فى المصائف بلادهم هذه من التل والتى تغلبوا عليها وانشريش ومنداس وتافركيت وما حوالى ذلك مثل الجيبات وتاوعزوت وغيرها ولم يكن له فى جميع ذلك قرية مخصوصة وانما كان لما غلب مغراوة على جبل وانشريش اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة فأكمله ولده محمد بن عبد القوى من بعده وسيأتى جميع ذلك مفصلا فى كلام ابن خلدون فانه ذكر فى كتابه العبر ترجمة عبد القوى المذكور ونسبه وقومه بنى توجين بأتم بيان وأوضح تبيان وله فى كل من الطبقات الثلاث الآتية اخبار ونقلات له ولقومه ذكرنا جميعها كذلك.

ونص كلام ابن خلدون فى ذلك مبتدئا بالاول الخبر عن بنى توجين من شعوب بنى بادين من اهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصائره كان هذا الحى من أعظم احياء بنى بادين وأوعرهم عدوا وكانت مواطنهم خفافير وادى شلق قبلة جبل ونشريش من ارض السرسو وهو المسمى بهذا العهد نهر واصل وكان بأرض السرسو بجهة المغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجدخى ومطماطة ثم صارت أرض السرسو لبنى توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم الاولى وصارت مواطنهم ما بين موطن بنى راشد وجبل دراك فى جانب القبلة وكانت فيهم الرياسة

أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرفيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادى شلق تحيز بنو توجين هؤلاء وكان لهم فى حروب حماد آثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه بدر على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد ادعى لهم باديس انحياشهم إليه وسوغ لهم ماغنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى مايفتحه من البلاد ودعوته ثم انفرد برياستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال ان دافلتن ابن أبى بكر بن الغلب وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن وكان يلقب عطية الحيو وكانت بينهم لعهده وبين عبد الوادى حروب كان متولى كبرها من بنى عبدالوادى شيخهم لذلك العهد ابن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الوادى آخراً على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم ابنه أبو العباس وكانت له آثار فى الاجلاب على ضواحى المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستماية وقد عامل تلمسان يومئذ أبو يزيد بن لوخان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبدالقوى فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره

وكان من أشهر بطون بنى توجين هؤلاء يومئذ بنو يدلاتن وبنو قرى وبنو مادون وبنو زنداد وبنو قاضى وبنو مامت ويجتمع هؤلاء الستة بنو مرت ثم بنو تيغرين وبنو يزناتن وبنو منكوش ويجتمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين ونسب بنى زنداد دخيل فيهم وانما هم من بطون مغراوه وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوى بن العباس بن عطية بن الحيو؛ هكذا رأيت نسبه لبعض مؤرخى زناتة المنكوشى. وكانت رياسة بنى توجين جميعا عند انقراض امر بنى عبدالمؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو وأحياؤهم جميعا تلك المجالات القبلة فلما وهى أمر بنى عبد المؤمن وتغلب مغراوه على بسائط متيجة ثم على جبل ونشريش نازعهم عبد القوى هذا وقومه أمر ونشريش وغالبوهم الى أن غلبهم عليه واستقر فى ملكهم وأوطنه بنو تيغرين وبنو منكوش من أحيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها احياء بنى مدن جميعا وكان الظهور منهم لبنى يدلاتن ورياسة بنى يدلاتن لبنى سلامة وبقى بنو يزناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة ونشريش

وكان من أخلاف بنى عطية الحيو بنو تبعرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مغراوة عن المدينـة ووانشريش وتافركيت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غربيها مثل منداس والجعبان وتاوغزت ورأسهم لذلك العهد عبـد القوى بن العباس والـكل لامره فصار له ملك بدوى لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين يتنالون فى مشاتيهم الى مصاب الزاب وينزلون فى المصائف بلادهم هذه من التل ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنـه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبـد الوادى على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يزناتن وبنو يدلاتن فصاروا الى بنى عبد الوادى وبقى اعقابهم بجبل ونشريش الى أن انقرضوا على مانذكره بعد. وكان عبد القوى لما غلب مغراوة على جبل ونشريش اختط حصن مرات بعدان كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فاكمله محمد بن عبد القوى من بعده

ولما استبد بنو أبى حفص بامر افريقية وصار خلافة الموحدين نهض الامير أبو زكرياء إلى المغرب الاوسط ودخلت فى طاعته قبائل صنهاجة وفرت زناتة أمامه فردد اليهم الغزو فأصاب منهم وقبض فى بعض غزواته على عبد القوى ابن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم من عليه وأطلقه على أن يستالف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكرياء بعده الى تلمسان فكان عبد القوى وقومه فى جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضره عقد لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له فى اتخاذ الادلة فكانت أول مراسم الملك لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الوادى تختلف فى السلم والحروب ولما هلك السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة فنفروا الى المغرب ومسابقة بنى مرين اليه فبقى معه عبد القوى فى قومه سنة سبع وأربعين وانتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحى بن عبد الحق أمير بنى مرين فى قومه فنكصوا واتبعهم الى أى مكان فكان اللقا وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التى ذكرناها فى أخبار بنى عبد الوادى وهلك عبـد القوى مرجعه منها بالموضع المعروف بأحرون من مواطنهم وتصدى للقيام بعده بأمرهم ابنه يوسف فمكث فى تلك الامارة أسبوعا ثم قتله على جدث

أبيه أخوه محمد بن عبد القوى و ولى عهد أبيه سابع مواراته وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال لمدية فأقام بها هو وبنوه واستقل محمد برياسة بنى توجين واستغلظ ملكه وكان الفحل الذى لايقرع أنفه ونازعه يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافركينت فنازله بها يومئذ حافده على بن زيان بن محمد فى عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنعت عليه فرحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من غزو بنى مرين فى بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم نفراوة فانتهوا الى كلومان ما بين لازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق فى جموعه فانكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن وحروب فنازله فيها بجبل وانشريش مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموه الى التغلب على زناتة أجمع وبلادهم وكانوا جميعا منحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير السلطان المنتصر ولما نزل النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا فى تلك الحضرة بعث المنتصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم محمد بن عبد القوى فى قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس وأبلى فى جهاد العدو أحسن البلاء وكانت له فى أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف مشهورة وعند الله محتسبه ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد القوى فى الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعم بالاحسان وجوه عساكره وأقطعه بلاد نفراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بذلك متعلقاً بطاعته ومستظهرا على عدوه بالانحياش اليه . و لما استغلظ بنو مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستمرارهم بملكه وصل محمد بهم فى الاستظهار على يغمراسن وأوجد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع بيغمراسن فى الواقعة التى هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوى للقائه ومر فى طريقه بالبطحاء وهى يومئذ ثغر لاعمال يغمراسن فهدمها وبقى يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم باتحافه وعين لهم عناية من

الجياد العتاق بالمراكب الثقيلة واراح عليهم الف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والاخبية والعملات وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبـــل وانشريش واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعيثه فى بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب واتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف حتى ان يعقوب اشترط على يغمراسن فى مهاداته أن يجعل سلمهم من سلمه وحربهم من حربه كان نهوض يعقوب ابن عبد الحق سببا لما اشترط عليه ذلك وحج فى قبوله فنهض اليه واوقع به بخرزورة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هناك محمد بن عبد القوى فلقيه بالقصاب وعاثوا فى نواحى تلمسان نهبا وتخريبا ثم اذن يعقوب لمحمد وقومه فى الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من نواحى تلمسان مدة منجاتهم الى مكانهم من وانشريش حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما ذلك الى أن هلك يغمراسن فى سداونه من بلاد مغراوه خاتمة احدى وثمانين وفى خلال ذلك استغلظ بنو مرين على بنى عبد الوادى واستوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على بلاد صنهاجة بجبال المهدية وأخرج الثعالبة من جبل ينطرى بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم فانزاحوا عنه الى سباط متيجة واوطنوها واستولى محمد على حصن لمدية وهو المسمى بأهل لمدية بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وياء النسب فى آخرها وهم بطن من بطون صنهاجة وكان المختط لها بركين بن زيرى ولما تولى محمد عليها وعلى نواحيها أنزل اولاد عزيز ابن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفر بنو صالح ابن أخيه يوسف بن عبد القوى من مكانهم بين صنهاجة منذ قتل أبوه يوسف كما ذكرناه ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحى قسنطينة فى إيالة الملوك من آل أبى حفص يعسكرون معهم فى غزواتهم ويبلون فى حروبهم ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالى من أولاد عزيز على لمدية وموطنهم الاول داخنون وكان بين يديه بدلاتن ايضا من بنى توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن على مقيما على طاعة محمد بن عبد القوى وقومه فاتصل ملك محمد بن عبد القوى فى نواحى المغرب الاوسط ما بين مواطن بنى راشد الى جبال صنهاجة بنواحى لمدية وما

فى قبلة ذلك من بلاد السرسو وحماله الى أرض الزاب وكان يبعد الرحلة فى مشتاه فينزل الروسن ومفراوه والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن سنة ٨١ كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين عبد القوى على أثر ذلك سنة ٨٤ وولى من بعـــده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله أخوه موسى من بعـــد مهلك أبيه وأقام موسى بن محمـد فى أمارة بنى توجين نحوا من عامين وكان من أهل مرات من أشد أهل وطنه شركة وأقواهم غائلة فحدثته نفسه ان يستلحم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فاجمع لذلك ونزلها ونذروا بشأنه ورأيه فيهم فاستماتوا جميعا فثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة والجوع الى مهاوى الحصن فتردى فيها وملك من بعده عمر ابن أخيه اسماعيل بن محمد مدة أربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابرهيم بن زيان وكان حسن الولاية عليهم يقال ما ولى بعد محمد فيهم مثله وفى خلال هذه الولايات استغلظ عليهم بنو عبد الوادى واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث فى أوطانهم ونقل زروعها إلى مازونة حين غلب عليها مفراوه ثم نازل حصن تافركينت وملكها بمداخلة القائد بها غالب الحصن مولى سيد الناس بن محمد وقفل إلى تلمسان ثم نهض الى أولاد سلامة بقلعة تاوغزون وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بنى عبد القوى فنبذوا لهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم المغارم على بنى يدللتن وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التخريب بين قبائل بنى توجين وتحريضهم على ابرهيم بن زيان أميرهم فعـــدا عليه زكراز بن أعجمى شيخ بنى مادون وقتله فى البطحاء فى احدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه وولى بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوى بايع له تبعرين واختلف سائر بنى توجين فاقام بعض سنة وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا شعبا الى أن نهض الى جبل وانشريش فملكه وفر أمامه موسى بن زرارة الى نواحى اللمدية وهلك فى سفره ذلك ثم نهض عثمان الى اللمدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها لمداخلته لمدية فى قبائل صنهاجه وغدروا بأولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين بما دهمه من مطالب

بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن ابرهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس واساء السير ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف بن زيان بن محمد وزحفوا الى جبال وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين عاما أو يزيد وكان يحى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف ابن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغب فى ملك وانشريش فبعث الجيوش لتنصر أخاه أبا سرحان ثم اخاه أبا يحيى وكان نهوض أبى يحى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرع ولما رجع محمد الى جبل وانشريس هدم حصونه وفعل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها وأطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركينت بعد صدره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى بصائرهم فى التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم واعادهم الى بلادهم واقطعهم وولى عليهم ابن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحى بن عطية فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى ملكه سنة ست وحمل قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعده لبنى يغمراسن عن جميع الامصار ليتملكوها بالمغرب الاوسط فاستمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين عنها ولحق المغل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فجلوا من دولتهم إلى محل الآثار والتركمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى من الملوك من آل ابى حفص مقام الخلة والفصاحة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير ثم بنى تيغرين احمد بن محمد بن اعقاب يعلى بن محمد السلطان ببنى يغرن فاقام يحى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل وانشريس وانتظم أولاد عزيز بالمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف بن على بن حسن بن يعقوب وكل فى طاعة أبى حمو سلطان بنى عبد الوادى لما غلبهم على امرهم وانتزع الرياسة

من بنى عبد القوى أمرائهم الى أن خرج على السلطان أبى حمو ابن عمه يوسف ابن يغمراسن ولحق باولاد عزيز فبايعوه ودخلوا فى كناسة عمر بن عثمان كبير بنى تيغرين وصاحب جبل طى وانشريس فأجابهم وأطفق معهم سائر الاعشار وبكوسة وبنو يزناتى ورجعوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبى حمو فى معسكره بنهل ففضوه وكان شأن فتنته معهم ما ذكرناه فى أخبار بنى عبد الوادى الى أن هلك السلطان أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهض اليهم فى العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالطة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان ابا تاشفين فى الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق بابى تاشفين ودله على مكان فى الحصن فدله اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه وافترق عن محمد بن يوسف أولياؤه واشياعه فقبض عليه وقيد اسيرا الى السلطان أبى تاشفين فقتل بين يديه قطعا بالرماح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزائه ورجع امر وانشريس الى عمر بن عثمان هذا وحصلت ولايته لابى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بنى مرين أعوام نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرناه فى أخبار الحصار ثم تغلب بنو مرين على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خير الابناء بالذمة والطاعة وخلوصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش واحسانا للملكة وتوفيرا للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وتطاول الاعياص من زناتة الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحى المدية من آل عبد القوى عدى بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى ونازع الخوارج فى دعوتهم واشتمل على بنى عزيز هؤلاء وبنى يزناتن جيرانهم وزحف الى جبل وانشريس لينال مع الحشم مديلى أمرهم والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر لمسعود ابن أبى زيد بن خالد بن محمد ابن عبد القوى من اعقابهم ثم خلص اليهم من جملة عدى وقومه فامتنعوا عليه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى فى جملة السلطان أبى الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم وملك ابو سعيد بن عبد الرحمن المالك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى الى أن غلبهم السلطان ابو عنان فسار فى جملته بعد أن فر الى زواره واستنزله منها

ونقله الى فاس وانقضى ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوى وأقام نصر بن عمر فى ولاية جبل وانشريس وعقد له السلطان أبو عنان على سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بنى مرين من بعده الى أن غلبهم السلطان أبوحمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر فاعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبنى عبد الوادى أعوام سبعين وسبعماية وقاموا بدعوة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو فانحاش نصر بن عمر اليهم وأخذ بدعوة الامير أبى زيان حينا ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بامرهم من بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب وانشريس وحاله مع أبى حمو مختلفة فى الطاعة والخلاف والله رب الامور لا مالك غيره

وأشار للطبقة الثانية بقوله الخبر عن بنى يزناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والامارة وذكر اوليتهم ومصائره كان بنو يزناتن هؤلاء اخر قبائل بنى توجين واعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى المغرب الاوسط قاموا بمواطنهم الاولى مابين ماصون ورمته ثم يعودون من القبلة يجولون جانبى نهر واصل من اعلى وادى شلق وكانت رياستهم فى نصر بن على بن تميم بن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوى بن العباس وابنه محمد امير بنى توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم وما يؤنسون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوى فى سلطانه يوثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عبو بن حسن بن عزيز وقد كان اصهر مهيب بن نصر الى عبد القوى الى ابنته فانكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فسرت خؤولته لمحمد بن عبد القوى وعلا كعبه فى امارته ثم تولى بعده ابنه على بن نصر وكان له من الولد نصر وعشرة آخرون يعرفون بامهم واسمها تاسرغنيت وولى بعده نصر بن على فطال امد امارته فى قومه واختلف بنو عبد القوى وغلب بنو عبد الوادى على ما بايديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من شهرته وكان والدا يقال أنه خلف ثلاثة عشر من البنين مامنهم الا صاحب حرب أو مغنب ومن مشاهيرهم عمر الذى قتله السلطان أبو الحسن بمرات حين

سعى به أنه داخل فى اغتياله ففر وادرك وقتل بمرات ومنهم مندیل الذى قتله بنو تيغرين ايام ولوا على بن نصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز ومنهم عثمان ومات قتيلا فى حصار تلمسان ايام أبى تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف فى آخرين معروفين عندهم هذا شأن أولاد نصر بن على بن مهيب واما ولد عشر اخيه فكان رسيا على بنى ابيه وكانت احدى وظائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادعت الحمل من سيدها ابى الفتوح وجاءت باخ لعيسى يسمى معروفا ربى بدارهم واستوزرلابى حمو واخيه من بعده وبلغ المبالغ فى دولتهم وكان يدعى معروفاً الكبير ولحق به أيام رياسته وفى دولة ابى حمو الاول اخوه عيسى بن ابى الفتوح مغاضبا لقومه فسعى له فى الولاية على بنى راشد وجباية اوطانهم وانزله بلدة سعيدة فكانت له امارة وكانله من الولد أبو بكروعبو وطاهروترماء وعند ماغلب بنو مرين على بنى عبد الوادى ولاهم السلطان ابو الحسن على بنى يزناتن متوالين واما ولد تاسرغنت من بنى على بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر فى رياسة قومهم الا أن بعض وظائفهم سقطت ايضا الى دار بنى تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ فى دارهم ونسب الى بنى تاسرغيت هؤلاء وتناولته النجابة فى خدمتهم فولوه الاعمال النبهة وهو لهذا العهد عامل أبى حمو الاخير على شلف وما اليها وقد غلب العرب لهذا على وطن يزناتن وملكوا عليهم يعودوماحون وبقيت جبايتهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن على ابن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب الاتاوة وبيد الله تصاريف الامور سبحانه

واشار للطبقة الاخيرة بقوله الخبر عن بنى راشد بن محمد وذكر اوليهم وتصاريف احوالهم قال فى العبر وانمـــا قدمنا ذكرهم قبـــل استيام بنى بادين لانهم لم يزالوا احلافا لبنى عبد الوادى ومن جملتـــهم فكانت اخبارهم من اخبارهم واما راشد ابوهم فهو اخـــو بادين واختص بنوه فى قلنا بنى عبد الوادى وكانت مواطنهم بالجبل بالصحراء المعروف براشـــد اسم أبيهم وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة تاسالت وبنوورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان جبل هوارة موطنا لبنى يلومة الذين

كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بنى يلومة وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل الى بسائط مديونة وبنى ورنيد فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم والجئوهم الى الاوعار فاستوطن ورنيد الجبل ثم استوطنوا جبلهم المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بنى يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان فى أول الاسلام وكان منهم أبو قرة الصفرى كما قدمنا وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمود الامير الذى قتله جوهر العنقلى قائد الشيعة كما ذكرنا فى أخبارهم ويعلى هو الذى اختط بهذا الجبل مدينة ايكفان التى هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومحلاتهم فى ساحة القبله الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد والجأوهم الى الجبل وكان غلب بنو راشد على هذه الاوطان بين دخول بنى عبد الوادى الى المغرب الاوسط وكان شيعة لهم واحلافاً فى فتنتهم مع بنى توجين وبنى مرين وكانت رياستهم فى بيت منهم يعرفون ببنى عمران وكان القائم بها لاول دخولهم ابرهيم بن عمران واستبد عليه أخوه وترمار وقام بأمرهم الى ان هلك فولى ابنه مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابرهيم وافترقت رياسة بنى عمران من يومئذ بين بنى ابرهيم وبنى وترمار الا أن رياسة بنى ابرهيم أظهر فولى بعد ابرهيم بن عمران ابنه وترمار ولا ادرى معاقبا القائم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبى الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيي موسى بن عبد الرحمن ابن وترمار بن ابرهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجوت بن وترمار وانقرض أمر بنى عبد الوادي واشياعهم ونقل بنو مرين رءوس زناتة اجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء ممن صار الى الغرب وأوطنوه الى ان صار الامر لبنى عبد الوادى الكرة الثالثة على يد ابى حمو الأخير موسى بن يوسف وكان شيخ بنى راشد لعهده ابن أبى يحيى بن موسى المذكور وأقبل اليهم من ايالة بنى مرين فاتهمه أبو حمو بمداخلتهم فقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق بالمغرب وارتحل بين احيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان أبى حمو فولاه على قومه ثم قبض عليه واعتقله الى ان قتله

بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعمائة وانقرض أمر بنى وترمار بعد ماقتل وترمار واخاه ابا زركن ثم ابنه يوسف ابن أبى زركن ثم آخرين من بعدهم لم تحضرنى اسماؤهم الى ان غلب عليهم بنو وترمار بن ابرهيم وقد ذهبت لهذا العهد رياسة اولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء حول السلطان وبقيتهم يحملهم على الحال التى ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها

الخاتمة

فى ذكر(١)من ملوك هذه الامة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم وشرف وكرم مبتدئاً بذكر الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم فمن بعدهم من ذوى الملك العضوض الى آخر المائة الثانية عشرة من الهجرة فاقول: خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ابن ابى قحافة عثمان بويع له فى ربيع الاول سنة احدى عشرة واقام سنتين وثلاثة شهور وتسعة أيام وتوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الاخيرة سنة ثلاثة عشرة وسنه ثلاث وستون سنة . وخلافة عمر بن الخطاب هو أبو حفص رضى الله عنه بويع له بعد موت أبى بكر رضى الله عنه واقام عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وتوفى ثالث عشرين فى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسنه ثلاث وستون سنة

خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه كنيته أبو عبد الله بويع له أول المحرم سنة أربع وعشرين وأقام ثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً وتوفى فى شوال سنة خمس وثلاثين وسنه اثنان وثمانون سنة ودفن بالبقيع

خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه بويع له بعد وفاة عثمان وأقام أربع سنين وتسعة أشهر وتوفى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وسنه ثلاث وستون سنة ودفن بالكوفة

خلافة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه واقام ستة اشهر وخلع نفسه فى ربيع الاول سنة احدى و[illegible] ووفاته سنة خمسين وسنه سبع واربعون سنة ودفن بالبقيع

وروى سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة

(١) هنا بياض في الاصل ، ولعل الساقط « بعض » أو « جماعة »

بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضودا وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة من خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنهم فقد انقضت الخلافة بآخر خلافة سيدنا الحسن بن على تسليما لسيدنا معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه سدآ لباب الفتن وحقنا لدماء المسلمين المشار اليه بقوله عليه السلام فى حق الحسن ان ولدى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . واما خلفاء بنى أمية فهم كما فى بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء مانصه : اول الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه معاوية وهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان واسمه سفيان ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويلتقى هو والنبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف واولاده عبد الرحمن ويزيد وعبد الله وهند ورملة وصفية وعائشة ثم ولى الامر يزيد ولده بعده وأولاده معاوية وخالد وهو أبو سفيان وعبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر وعمير وعبد الرحمن وعتبة الاعور وزيد ومحمد وهو أبو بكر وحرب والربيع وعبد الله. وفى أيام يزيد قتل الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بكربلا فى قصته المعروفة ثم مروان بن الحكم هو أبو الحكم وقيل أبو عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وهذا مروان اليه ينسب خلفاء بنى مروان وأولاده عبد الملك ومعاوية وام عمرو وعبيد الله وابان وعبد الله وداود وعبد العزيز وعبد الرحمن وام عثمان وبشر ومحمد . عبد الملك بن مروان ولى بعد ابيه وكنيته ابو الوليد ويقال مروان ولقبه رشح الحجر لبخله ويكنى ابا ذباب لبخره واولاده الوليد وسليمان ومروان الاكبر ويزيد ومروان ومعاوية وهشام ويسار والحكم وعبد الله ومسلمة وعيينة ومحمد وسعيد والحجاج وقبيصة فولى بعده الوليد بن عبد الملك ويكنى أبا العباس وأولاده أربعة عشر ذكرا سوى البنات، منهم يزيد وابراهيم وليا الخلافة ومنهم العباس فارس بنى مروان كان يركب فى ستين من صلبه عبد العزيز وسيره ثم ولى من بعده سليمان بن عبد الملك وهو أبو أيوب ويقال أنه كان نكاحا شرها يأكل فى كل يوم نحوا من مائة رطل وأولاده اربعة عشر ذكرا. ثم ولى بعده ابنه عمر بن عبد العزيز بن مروان ويكنى أبا حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ويسمى الاشج لان فى وجهه شجة من دابة ضربته ، وأولاده كانوا اربعة عشر ذكرا وخمس بنات

من اولاده عبد الملك وكان مات فى حياته ومنهم عبد الله وكان شجاعا ولى العراقين لزيد بن الوليد واحتفر نهر أبى عمرو بالبصرة (يزيد بن عبد الملك) يكنى بابى خالد وأولاده ثمانية ذكوراً وقيل عشرة منهم عبد الله بن يزيد متولد من سبعة خلفاء أبوه يزيد وجده عبد الملك وجد أبيه مروان وجدته لابيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمه سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان وأم عبد الله بن عمر وهى بنت عمر بن الخطاب. ومنهم الوليد بن يزيد وقيل هشام بن عبد يكنى أبا الوليد ولى الخلافة وأولاده عشرة ذكور وأناث منهم معاوية بن هشام وهو أبو عبد الرحمن ومنهم سليمان قتله السفاح (الوليد بن يزيد) بن عبد الملك ولى الخلافة وأولاده ثلاثة عشر ذكرا وبنات (يزيد بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى أبا خالد ولى الخلافة (ابرهيم بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى ابا اسحاق (مروان) ابن محمد الجعدى وكان يلقب بحمار الجزيرة لصبره على الحروب وهو ابو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أبى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي هو والنبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وهو آخر خلفاء بنى أمية وبانقضاء خلافته انقضت خلافة بنى أمية وأولاده عبد الله وعبيد الله هربا بعد قتله أما عبيد الله فقتله الحبشة وأما عبد الله فله عقب ويقال انه أخذ وحبس ولم يزل محبوساً الى أيام الرشيد فأخرج ضريراً ومات ببغداد قال فى بلغة الظـــرفاء وجميع خلفاء بنى أمية من لدن معاوية بن أبى سفيان الى مروان بن محمد الجعدى اربعة عشر خليفة وكانت مدة خلافتهم احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام منها فتنة ابن الزبير تسع سنين واثنان وعشرين يوما ثم تفرقت بنو امية فى البلاد هرباً

ومن كتاب الكردوس فى أخبار المشرق والاندلوس: فأول من تأمر فى الأرض الاندلس وملكها شيئاً بعد شيء عبد الملك بن عبد الرحمن الامى ابن مروان ثم بعده ولده هاشم ثم حكيم ثم عبد الرحمن ثم ابنه محمد ثم عبد الله ثم الملقب الناصر ثم بعده الحكم المنتصر ثم هاشم ثم قام عليهم قائم وادعى بأنه المهدى وبقيت فترة عظيمة الفتن ثم تولى سليمان بن الحكم بالاندلس على قبائل البربر الذين قطعوا الجزيرة مع موسى بن نصـــير فى بداية الامر واستوطنوا البـلاد وحاصروا الهاشم فى قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبتة واحوازها وكان فيها

وتملكها على بن حمود من الادارسة فقطع اليه من سبتة فى جموع من البربر وأغاثه وهو على بن حمود بن ميمون بن على بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على فقطع البحر الى اغاثته وتبعه بعض أهل الجزيرة مع قومه ونزل على سليمان وهو محاصر لهاشم فى قرطبة وقتله وقتل جموعه فادعى لنفسه على بن حمود وولى البيعة بالاندلس

قال فى الاقنوم ذكر دولة بنى أمية

أولهم سيدنا معاويه ۞ بويع فى (ما) بأول مايه
(يه) و(جيم)ثم (كه)ومضى ۞ (نط)(وواو)ثم(يه)إذقضى
ثم يزيد ابنه(جيم) و(ما) ۞ بعد (حجب)و(يه)انمحى
ثم معاوية ابنه تلا ۞ (قيب) من الايام قد تجللا
ثمت مروان وعبد الله ۞ (ضج)و(باز اى)لدى التناه
وفى (عج) (وهابا) اندرج ۞ بياض في الاصل
ابن الزبير فتبق بعده ۞ (يب)و(دال) ثم(هاء)عده
ثم ابنه الوليد(طازاى كط) ۞ مدته وموته لما فرط
خمس وتسعون وخمسة شهور ۞ ونصف شهر ثم بعده ظهور
ملك سليمان بن عبد الملك ۞ عاش به مع سبع(وكد)قد حكى
وموته لما مضت ثمانيه ۞ تسعون مع شهر (ويج)تاليه
وعمر العدل وعامين بقى ۞ وخمسة و(يج) مات بعد فى
وستة من الشهور ثم (كو) ۞ ثم ابن عمه يزيد قد حكوا
فى خمسة ومائة توفيا ۞ ثم هشام بعده قد وليا
ومات عام خمسة وعشرين ۞ ثم الوليد وتلاه فى الحين
ثمت ابرهيم فيها مروان ۞ وحينه فى مائة ولج حسان
وزال ملكهم عن الشرق الى ۞ اندلس من بعد ذاك انتقلا
ولم يزل بها الى ان ظهرا ۞ بها المرابطون فى(نت) يرى

نسب الخلفاء العباسيين

قال فى بلغة الظرفاء : اول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح هو ابو ايوب عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ويلتقى هو والنبى صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب وهو اول خليفة من بنى العباس وامه ريطة وقيل رابطة بنت عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثى واولاده كان له ولد يسمى محمدا مات صغيرا.(ابو جعفر المنصور)وهو اخو السفاح واسمه عبد الله بن محمد وامه سلامة بنت بشير بن مزنة واولاده محمد المهدى وجعفر وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز والعباس والغالية تولى منهم بعد ابيه ابو جعفر (محمد المهدى) ويكنى اباعبدالله وهو محمد بن عبدالله المنصور وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد الحميرى وأولاده هارون الرشيد وموسى الهادى وعلى وعبيد الله ومنصور ويعقوب واسحاق وابرهيم والغالية و العباسية وسليمة (فموسى الهادى) هو أبو محمد موسى بن محمد المهدى وأمه الخيزران وأولاده ستة ذكورهم عيسى واسحاق وجعفر وعبد الله واسحاق وموسى وكان عيسى اعمى وله بنات منهن أم عيسى تزوجها المأمون . (هارون الرشيد)هو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدى وأمه الخيزران وأولاده محمد الامين وعبد الله المأمون ومحمد المعتصم وصالح ومحمد أبو عيسى والقاسم وعلى واسحاق وأبو العباس وأبو أيوب وأبو أحمد وبنات الواحدة من بناته تعد عشرة خلفاء كلهم لها محرم ؛ هارون أبوها والهادى عمها والمهدى جدها والمنصور جد أبيها والسفاح عم جدها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابناء أخيها(محمد الامين)هو أبو عبد الله وقيل أبو موسى وقيل أبو العباس محمد بن هارون الرشيد وأمه أم الواحد وقيل أم العزيز بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ولقبها زبيدة وأولاده موسى وعبد الله وابرهيم (عبد الله المأمون) هو أبو العباس وقيل أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد وأمه من أجل أم ولد وأولاده محمد الاصغر وعبد الله وعلى والحسن واسماعيل والفضل وموسى وابرهيم ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر واسحاق واحمد وهارون وعيسى وعدة بنات(المعتصم بالله) هو أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد وكان قويا قتال

إن كان يحمل ألف رطل ويمشى بها خطوات فى ما ذكر وكان أميا لا يكتب وهو المثمن من اثنى عشر: هو الثامن من ولد العباس والثامن من ولد الخلفاء وولى سنة ثمانى عشرة ومايتين وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وتوفى وله ثمان واربعون سنة وولد فى شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وخلف ثمانيه ذكور وثمانى بنات وغزا ثمانى غزوات وخلف ثمانية آلاف دينار ومثلها دراهم واولاده ثمانية ذكور وثمانى بنات ، منهم هارون الواثق وجعفر المتوكل ومحمد أبو المستعين وهو الذى امتحن احمد بن حنبل فى خلق القرآن فامتنع أن يقول ذلك فضربه عدة سياط (الواثق بالله) أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد أمه قراطيس أم ولد وأولاده محمد المهتدى وعبد الله وأحمد وابرهيم وعائشة (جعفر المتوكل على الله) هو أبو الفضل جعفر ابن المعتصم بن الرشيد وأمه تركية اسمها شجاع وأولاده محمد المنتصر وقيل المستنصر وكان أحدب والمعتز وابراهيم والمؤيد واحمد المعتمد على الله وطلحة الموفق واسماعيل وجماعة (محمد المنتصر) هو أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل وأمه رومية تسمى حبشية واولاده اربعة ذكور (المستعين بالله) هو احمد بن محمد بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد وامه مخارق ام ولد وأولاده تسعة ذكور (المعتز بالله) هو ابو عبد الله محمد وقيل هو الزبير بن جعفر المتوكل وامه قبيحة واولاده عبد الله ابن المعتز الشاعر (المهتدى بالله) هو ابو عبد الله محمد بن هرون الواثق ويقال له أبو جعفر وامه رومية اسمها قرب واولاده خمسة عشر ذكراً (المعتمد على الله) هو ابو العباس احمد وقيل ابو جعفر المتوكل وأمه فينان أم ولد واولاده عبد العزيز وجعفر ومحمد واسحاق (المعتضد بالله) هو ابو العباس أحمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل وامه ضرار أم ولد واولاده المكتفى والمقتدر بالله والقاهر وهارون واحدى عشرة بنتا (المكتفى) هو ابو محمد على بن المعتضد بالله وامه خاضع أم ولد واولاده المكتفى بالله وثمانية ذكور (المقتدر بالله) هو ابو الفضل جعفر ابن المعتضد بالله وامه شعب ام ولد واولاده الراضى والمتقى واسحاق والد القادر والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلى واسحاق وعيسى وموسى وابو العباس (القاهر بالله) هو ابو المنصور بن المعتضد بالله وامه قبول ام ولد واولاده الفضل وعبد الصمد وابو القاسم عبد العزيز وهو ولى عهده

(الراضى بالله) هو ابو العباس محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله امه ظلوم أم ولد اولاده أبو جعفر احمد والفضل وعبد الله (المقتفى بالله) هو ابو اسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتصم بالله وامه خلوب (المستكفى بالله) هو ابو القاسم عبد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد وامه غصن (المطيع بالله) هو ابو القاسم وقيل ابو العباس الفضل بن المقتدر بالله بن المعتضد وامه مشعلة واولاده ابو بكر الطائع وعبد العزيز وجعفر (الطائع لله) هو ابو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وامـــه أم ولد (القادر بالله) هو ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وامه ثمين واولاده ابو جعفر عبد الله ولى عهده (القائم بأمر الله) هو أبو جعفر عبد الله بن احمد القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وأمه بدر الدجى ام ولد وأولاده ابو العباس محمد ذخيرة الدين وأبو القاسم عبد الله ولد ولده ولى بعده (المقتدى بالله) هو ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم بأمر الله ابن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله (المستظهر بالله) هو أبو العباس احمد بن أبى عبد الله المقتدى بالله ابن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وأولاده ابو منصور الفضل المسترشد بالله وأبو عبد الله محمد المقتفى لامر الله (المسترشد بالله) هو أبو منصور الفضـل ابن أبى العباس احمد المستظهر بالله (الراشد بالله) هو أبو جعفر بن المسترشد بالله (المقتفى لامر الله) هو أبو عبد الله بن احمد المستظهر بالله وأولاده منهـم يوسف ولى عهده (المستنجد بالله) هو المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله بن المستظهر بالله (المستضىء بنور الله) أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله تمت أخبار بنى العباس رضى الله عنه من لدن قيام أبى العباس السفاح الى عام سبع وستين وخمسمائة أحمد (الناصر لدين الله) بن المستضىء بنور الله خطب له بجامع الاسكندرية مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلافته سبع واربعون سنة. تمام الدولة العباسية من غير بلغة الظرفاء (الظاهر بالله) ابو نصر محمد بويع له فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ومات فى السنة المذكورة ثم بعده الامام ابو جعفر (المستنصر بالله) اول خلافته سنة اربع وعشرين وستمائة وتوفى سنة اربعين وستمائة وولى بعده ولده الامام ابو محمد عبد الله (المستعصم بالله) فى السنة المذكورة وهو المنصور آخر

خلفاء بني العباس وهو الذي خرج عليه التتر وقتلوه واخذوا بغداد وذلك في سفر سنة خمسين وستمائة .قال في الاقنوم ذكر الدولة العباسية

في عام (قاب) منهم قد وليا ☆ سفاحهم وفي (لز) توفيا
وبعده المنصور مات في (خنق) ☆ وبعده المهدي إلى ابنه (طق)
من شره ادريس كان هاربا ☆ بنفسه لما توقى المغربا
ثم ابنه موسى ومات في (عق) ☆ وبعده هارون الرشيد بقي
لعام (فضج) فابنه الامين ☆ أخوه قد خلفه المأمون
ل (نضج) ومات (حسير) ☆ وبعده معتصم ل (كيزر)
وبعده الواثق مات في (رلب) ☆ فالمتوكل ل (رمز) وذهب
وبعده ومات فيها المنتصر ☆ فالمستعين بعد في (رنب) قبر
وبعده المعتز (نهر) المهتدي ☆ بعد للمعتمد
وقبل موته بدا القرامطه ☆ بسنة على امور ساقطه
معتضد (حرب) وبعد المكتفي ☆ لعام خمسة وسبعين خفي
وبعده الغالب (رمض) ورجع ☆ من بعده المقتدر الذي خلع
وعام (سين) ثانيا قد خلعا ☆ ثم اخوه القادر الامر دعا
فلم يجب ثم أتوا للمقتدر ☆ به بالانقياد منه يعتذر
ودعا للخلافة المقتدر ☆ ثالثه لعكس معاد القاهر
وسنة ونصفها قد وليا ☆ وفي (لط) في سجنه توفيا
وبعده الراضي وفي (كط) قضا ☆ والمتقي في (لج) ملكه انقضا
وبعده وخلع المكتفي ☆ سنة (لد) وفي (لج) توفي
ثم المطيع نفسه قد خلعا ☆ ملكا سنة (جص) الطائعا
ولده فعل أبيه في (أسف) ☆ فعل ثم في (ضح) أردى التلف
وسلم الامر الى القادر في ☆ سنة كتب أجل العمر في
وبعده القائم أربعينا ☆ ملك مع خمس من السنينا
ومات في (جز) و(نفز) للمقتدي ☆ مستظهر (ثيب) للمسترشد
(كط) عام (ثلب) للراشد ☆ والمقتفي (نا) للمستنجد
(خوص) وبعده المستضي ☆ وبعده الناصر في (لنج) فع

وكان مبدأ التتار اولا ٭ العرى فى أيامه ساء الملا
وبعده فى تسعة من أشهر ٭ حان الممات بعد ملك الظاهر
وضم لمنصور هو المنتصر ٭ معتصم (نه) احمد المنتصر
فقد للستين ثم الحاكم ٭ أول من ملك مصر منهم
ومات فى احدى وسبعماية ٭ ثم ابنه أبو الربيع ما فتى
لعام (دل) ثم مات عام (ذام) ٭ ثم ابنه الحاكم نحو (يد) غام
ومات فى (زتر) و (صج) للمعتضد ٭ للمتوكل (يو) خلع عهد
والملك فى أولاده لصلبه ٭ فى خمسة وذاك مختص به
وبعده المعتصم الذى خلع ٭ عشر ويوما ملكه لكن رجع
والمتوكل أعيد ثانيا ٭ وعام (ذبد) بعد ذاك خليا
والمتوكل أعيد ثالثه ٭ ومات فى (خط) وكان وارثه
المستعين أحد البنينا ٭ له ومات فى (لج) سنينا
معتضد فى (مد) و (نه) مستكفى ٭ وحمزة (نط) و (ما) توفى
ثم أخوه المستنجد ٭ وهو الاخير اذ رماه الامد

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه الجميل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم على يد كاتبه العبد الذليل المقر بالقصور وعدم التحصيل محمد بن احمد بن أبى القاسم التواتى غفر الله له ولوالديه بمنه وكرمه آمين

وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب الجليل بعد مغرب ليلة الجمعة رابع ذى الحجة من سنة ثلاث وتسعين بعد المايتين والالف من هجرة من له العز والشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بليغة فى تقريظ الكتاب

الحمد لله الذى خص ائمة المسلمين بكونهم من قريش ما أمكن الى ذلك سبيل وان تعذر ذلك اعتبر كونهم من بنى اسمعيل والا فبحسب الامكان والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد أشرف بنى عدنان وعلى آله واصحابه المجاهدين في الله حق جهاده القويم ، المستمسكين بمنهاج الشرع الواضح المستقيم . اما بعد . فقد اطلعت على كتاب الدرر السنية ، فى اخبار السلالة الادريسية ، تأليف الامام المحدث الكبير ، صاحب الصيت العظيم الشهير ، السيد محمد بن على السنوسى ، من اصطفاه الله بفتحه القدوسى . فاذا هو كتاب جميل نفيس ، اشتمل على خلاصة أخبار أئمة ابناء مولانا الامام السيد ادريس . وهو السيد ادريس ، ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة البتول بنت رسول الله. صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وعن جميع ذريتها الطاهرة ، ذات المزايا العظيمة الظاهرة

واشتمل هذا الكتاب أيضا على زبدة نافعة من أخبار من ملك المغرب من سائر الاشراف وغيرهم، وعلى أول مافتح من المغرب فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وأول ذلك أول فتح افريقية في خلافة عثمان على يد عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخى أمير المؤمنين عثمان بن عفان من الرضاعة رضى الله عنهما ، ثم ذكر فتوح عقبة بن نافع وغيره بعد ذلك على نوع الايجاز والاختصار النافع، ثم أشبع الكلام على دولة الادارسة وغيرهم في البلاد المغربية وما جددوه من الدين فيها وذكر سبب موت السيد ادريس الاكبر ، وسبب موت نجله ادريس الازهر ، باني مدينة فاس

وقد اجاد فى ذلك كله وأفاد وأبان مسائل تاريخية ينشرح بتتبع انواعها الفؤاد ثم جعل لكتابه هذا خاتمة مختصرة ذكر فيها الخلفاء الاربعة ثم خامسهم سيدنا الحسن السبط بن على رضى الله عنهما ، ثم ذكر فيها خلفاء بنى امية جميعا نثرا ونظما ، ثم اتبعهم بخلفاء بنى العباس كذلك نثرا ونظما

وبالجملة فهو كتاب تاريخ وكتاب علم نافع جمعه امام بحر علم تتفجر من صدره ينابيع الحكم والعلوم ومن اعتكف على مصنفاته نال منها كل ما يشتهيه العاقل من جميع ما يروم . نفعنا الله ببركاته وبمؤلفاته ، وجعلنا من خواص من انتفع بعلمه واجتنى أطيب ثمراته ، وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادى الى سواء الطريق .

قاله بلسانه وقيده ببنانه خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين وبالازهر المعمور ، محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله بن مايابى ، الجكنى نسبا الشنقيطى اقليما ، المدني مهاجرا ، أعاده الله لها على المراد ، بجاه سيدنا محمد خير العباد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الى يوم التناد . انسلاخ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ

الفهرست

الصفحة

٣ مقدمة الكتاب وفيها الكلام على الانساب
٦ النسبة الادريسية وتنوع أفنانها
٩ فصل يتعلق بفتح المغرب
١٠ فتح انطابلس وهى برقة واعمالها
١٠ فتح اطرابلس
١١ فتح إفريقيه
٢٩ فتح موسى بن نصير
٣٧ الدولة الادريسية الزرهونيةوالعباسية
٤٢ سبب قدوم مولانا ادريس الى المغرب
٤٤ بيعة مولانا ادريس وغزواته
٤٨ وفاة مولانا ادريس رضى الله عنه
٥٠ قصة مقتل الحسين السبط رضى الله عنه
٥٧ ولادة مولانا ادريس بن ادريس ونشأته
٦٧ كلمة عن الامام موسى بن نصير
٦٩ بناء مدينة فاس وسببه
٧٣ توجيه تسميتها بفاس
٧٥ سيف ادريس بن ادريس في فاس وما قيل فيه
٧٧ الدولة الثانية القهارية
٨١ الدولة الثالثة السبتية
٨٣ الدولة الرابعة الاندلسية
٨٥ الدولة الخامسة المهدوية
٩٨ فصل في ذكر الشريف عبد القوى الحسينى الموسوى

الصفحة

١٠١ فصل في ذكر الشريف عبدالقوى الحسنى الادريسى الزيانى
١٠٩ تتمة فيما تطلق عليه لفظة « زيان »
١١١ نسبة بنى زيان لاشراف الادارسة
١١٣ فصل في أخبار عبد القوى بن العباس الراشدى التوجانى الزناتى
١٢٤ خاتمة فى ذكر بعض الخلفاء والملوك متبدئا بالخلفاء الاربعة رضى الله عنهم
١٢٨ نسبة الخلفاء العباسيين ودولتهم
١٣٣ كلمة بليغة في تقريظ الكتاب

تحميل كتب ومجلات
abbassa.wordpress.com